

العنوان

إشكالية الإمامة في الفكر الإسلامي ابن حزم الأندلسي أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة: تخصص فلسفة عامة

تحت اشراف الدكتورة :

- خيرة بورنان

اعداد الطالب:

- سفيان عبد الباقي

لجنة المناقشة

الصفة	الرتبة	الأستاذ
رئيسا	أستاذ محاضر - ب -	ربيعة مجكود
مشرفا	أستاذ محاضر - أ -	بورنان خيرة
مناقشا	أستاذ محاضر - ب -	يوسف بوراس

السنة الجامعية: 2022 / 2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



شكر وتقدير

شكري لله تعالى اولاً، حلّ جلاله، ومُنَّته علينا بإتمام هذا العمل،

ثم تقديري واحترامي الخالص إلى الأساتذة المجلين

الكرام الذين رافقونا طيلة فترة الماستر.

وأختص بالذكر الأستاذة "بورنان خيرة" التي ساعدتني ووجهتني في

إعداد

هذا العمل من خلال نصائحها وإرشاداتها التي قدمتها لي.

وشكري الخاص والخالص للجنة المناقشة التي أخذت على

عاتقها مهمة قراءة ومناقشة هذه المذكرة

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى

أحب وأعلى الناس على قلبي، إلى والديّ الكريمين

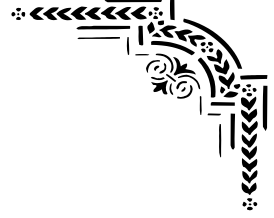
وأفراد عائلتي الكريمة

خاصة أختي " سارة عبد الباقي " ،

أساتذتي الكرام الذين رافقونا في رحلة الماجستير،

زملائي في مساري الدراسي، وكل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة.

مقدمة



يمثل الفكر العربي الإسلامي منظومة متكاملة في أبعادها بما يحتويه من تراث خصب في مختلف جوانب الحياة الإنسانية والمجتمع ومن مختلف مجالات الفكر من علوم وثقافة واجتماع وسياسة وأخلاق أي أن الفكر العربي الإسلامي يزخر بالعديد من الدراسات والقضايا قديما وحديثا، وهذا النتاج الحضاري الذي شكل مؤثرا في صياغة مفاهيم كثيرة في الفكر البشري الحديث، ومن اهم القضايا التي شغلت الفكر الإسلامي وثار حولها الاختلالات الفكرية والدينية وهي قضية الإمامة والخلافة إذ يتداخل فيها الديني مع الدنيوي والعقدي مع السياسي، والحياتي مع الأخرى وقد كانت هذه المسألة محل جدال بين المفكرين المسلمين في شتى العصور وحتى وقتنا الراهن، وكان لهذه القضية التأثير الكبير في المجتمع العربي والإسلامي خاصة منذ مجيء الإسلام وتأسيس المجتمع الإسلامي الذي كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أسس مجتمع إسلامي متكامل ومتشعب سياسيا واجتماعيا وأخلاقيا ولكن مع وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم برز الخلاف وتضاربت الأفكار وتشعبت الآراء، واختلفت وجهات النظر وتشكلت الأحزاب السياسية والفرق الدينية كالشيعة والخوارج وغيرها، ولهذا يعتبر أعظم خلاف بين الأمة والتي واجهت العرب فقد ذرَّ قرنها منذ اللحظة التي توفي فيها الرسول صلى الله عليه وسلم، ذلك لأن النبي لم يقرر نظاما معيناً لمن يكون إماماً أو خليفة بعده ولم يحدد طريقة الاستخفاف بعده وهذا ما أدى إلى الخلاف حيث يقول الشهرستاني «وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ مائل سيف في الاسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان».

وتكمن صعوبة مسألة الإمامة قادمة من ممارستها المباشر مع موضوع الشرعية التي تشعر الفرد ببراءة الذمة فيما بينه وبين الله عز وجل ففي قول الرسول صلى الله عليه وسلم «من مات وليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية». إذن هذه المشكلة كانت في علاقة بين الحق والقوة في المجتمع وقد طرحت في وقت مبكر على المسلمين فبعد وفات الرسول صلى الله عليه وسلم دارت الجدالات وأصبحت الفتنة أو الأزمة تلوح في الأفق التي شهدتها سقيفة بني ساعدة وأدت إلى تعيين أبي بكر رضي الله عنه أول خليفة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت هناك الكثير من المبررات

التي جعلته خليفة كقربه للرسول والانتماء إلى قريش والسبق إلى الإسلام هي المبررات التي رجحت كفة الخليفة الاول لكن هذه النتيجة لم تنه الاشكال، ثم جاء تنصيب عمر بن الخطاب كخليفة ثاني وبعده اختير عثمان بن عفان كخليفة ثالث ومبايعة شعبية لعلي كخليفة رابع وهنا ظهرت من حديد بوادر الانشقاق والعصيان والفتن تلوح في الأفق وبلغت ذروتها بقتله ومن ذلك الحين تضاربت الأفكار وظهرت الفرق حول من هو الخليفة بعد علي رضي الله عنه، ولعل أبرز هذه الفرق هي الشيعة والخوارج والمعتزلة.. الخ. ومن الناحية التاريخية أول إشكالية ترتب عليها انقسام المسلمين إلى فرق تتصارع فيما بينها صراعا سياسيا، وسرعان ما تحول إلى صراع عقائدي وفكري. وما جعل تلك الخلافات السياسية بين المسلمين مرتبطة بالعقائد، وأن الخلاف السياسي بين المسلمين ما كان ليبتعد عن الدين لأن كل فريق من الفرق المتنازعة كان يلجأ إلى نصوص الدين دائما حسب تأويله وفهمه للنصوص الدينية ومن هذه الفرق كالشيعة والخوارج والمعتزلة والمرجئة.. الخ، ثم اعتمد كل فريق على معتقداته وأفكاره الخاصة، ومن هذه المشكلة تعاقبت الأفكار والدراسات منذ ذلك الحين إلى وقتنا الراهن وقد كانت هذه المشكلة محل دراسة الكثير من المفكرين والعلماء ولعل أبرزهم الذي تكلم وأبدى رأيه هو "ابن حزم الاندلسي" الذي درس مشكلة الإمامة وتسييس في هذه الإشكالية ولهذا ستخصص بحثا حول مسألة الإمامة أو مشكلة الإمامة عند "ابن حزم الاندلسي" ومحاولة الإجابة.

وغرضنا في عملنا الموسوم: "إشكالية الإمامة في الفكر الإسلامي - ابن حزم الأندلسي" أنموذجا" هو الاقتراب من موقف ابن حزم في هذا الموضوع، وذلك من خلال طرح الإشكالية التالية:

ما حقيقة الإمامة وماهيتها عند ابن حزم؟ وما موقفه من قضية نصب الإمام؟
وقصد الإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا خطة منهجية تتضمن ثلاث فصول ومقدمة وخاتمة.

- المقدمة: اشتملت على الإطار العام للموضوع، مع طرح الإشكالية، وعرض لخطة البحث.

- الفصل الأول: جاء تحت عنوان "ابن حزم حياته وظروف عصره". تناولنا من خلال مبحثيه، حياة ابن حزم، وظروف عصره التي ساهمت بشكل واضح في بلورة فكره ومواقفه السياسية ولآرائه الفقهية والفلسفية والكلامية...

- الفصل الثاني: جاء تحت عنوان "إشكالية الإمامة من منظور الفرق الكلامية". تناولنا

في مبحثيه الرئيسيين مفهوم الإمامة وشروط انعقادها بشكل عام، وموقف أبرز الفرق الكلامية (الشيعة، الخوارج، المعتزلة) من إشكالية الإمامة بشكل خاص.

- الفصل الثالث: جاء تحت عنوان "ماهية الإمامة عند ابن حزم". عرضنا من خلال مباحثه الثلاث، إلى وجوب الإمامة وشروطها، وموجبات عزل الإمام، ناهيك عن حقوقه وواجباته.

الخاتمة: ذكرنا فيها أهم النتائج التي أفضى إليها البحث.

واقترضت معالجتنا لهذا الموضوع الاعتماد على المنهج التحليلي؛ لما يوفره من إمكانية تحليل الأفكار والمفاهيم.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا البحث لم يأخذ شكله النهائي إلا بالاعتماد على مصادر ابن التي تخدم الموضوع، ومنها على وجه الخصوص: رسائل ابن حزم. بالإضافة إلى اعتمادنا على مراجع وكتب ذات صلة مباشرة بالموضوع.

أما دوافع اختيار الموضوع - فقد كانت فرصة لي من أجل دراسة معلم من معالم الفكر الفلسفي/ الكلامي عموماً، والإسلامي خصوصاً، بالإضافة إلى التعرف على شخصية هذه القامة من قامات العلم والموسوعة الفكرية.

الفصل الأول

ابن حزم حياته وظروف عصره

المبحث الأول: ترجمة الإمام ابن حزم

المطلب الأول: مولده ونسبه ووفاته

المطلب الثاني: طباعه وأخلاقه

المطلب الثالث: حياة ابن حزم العلمية

المبحث الثاني: ظروف عصر الإمام ابن حزم

المطلب الأول: الحالة السياسية

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية

المطلب الثالث: الحالة الثقافية والعلمية

المبحث الأول: ترجمة الإمام ابن حزم

المطلب الأول: مولده ونسبه ووفاته

الإمام ابن حزم الظاهري المكنى بأبي محمد واسمه علي ويعرف أيضاً باسم علي بن حزم الأندلسي، هو أبو محمد علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي. ويكاد الاجماع ينعقد بين كتاب السير والتراجم القدامى، الذين تعرضوا لحياة ابن حزم في إطار ترجمتهم له، إلى اعتبار أنه ينحدر من أصل فارسي، إلا أن سالم يافوت من الكتاب المعاصرين الذين يشككون في هذا النسب¹، وقبله طعن بعض الكتاب القدامى ومنهم أبا مروان بن حيان^(*) في نسبه الفارسي، حيث كتب: "وقد كان في غرائب انتماءه في فارس، أتباع أهل بيته له في ذلك بعد حقبة من الدهر، تولى فيها أبوه الوزير المعقل في زمانه، الراجح في ميزانه أحمد بن سعيد بن حزم لبني أمية أولياء نعمة، لا عن صحّة ولاية لهم عليه. فقد عهدده الناس حامل الأبوة، مولد الأرومة من عجم لبله، جده الأديني حديث عهد بالإسلام"².

ولد ابن حزم - كما كتب بخط يده إلى أحمد الحنبلي صاحب كتاب أخبار الحكماء - بقرطبة في الجانب الشرقي من روض منية المغيرة قبل طلوع الشمس وبعد سلام الإمام من صلاة الصبح، آخر ليلة الأربعاء، آخر يوم من شهر رمضان المعظم سنة 384هـ الموافق لـ 994م.³

نشأ ابن حزم في أسرة غنية رفيعة الشأن عريقة النسب، كان أفرادها من ذوي المجد والحسب والعلم والأدب. كان والده أحمد بن حزم أحد وزراء المنصور بن أبي عامر حاكم الأندلس القوي، كان معروفاً برجاحة

¹ - سالم يافوت: ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، مركز الثقافي العربي - المغرب، ط1، 1986، ص35.

^(*) ابن حيان القرطبي: هو الإمام، المحدث، المؤرخ، النحوي، صاحب التصانيف، أبو مروان بن حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان القرطبي الأندلسي الأخباري الأديب، شيخ الأدب ومؤرخ الأندلس ومستندها. من مؤلفاته: المقتبس في تاريخ الأندلس؛ وكتاب المتين؛ وكتاب البطشة الكبرى وهو كتاب يعنى بأخبار الدولة العامرية؛ وانتخاب من أخبار القضاة؛ وكتاب في تراجم الصحابة؛ وكتاب تاريخ فقهاء قرطبة.

² - ياقوت الحموي الرومي: معجم الأديباء - إرشاد الأريب في معرفة الأديب، تحقيق، إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، ط1، 1993م، ج4، ص1656.

³ - الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، ج18، 1984، ص211.

العقل وحسن التدبير، استطاع أن ينال ثروة عاش فيها في سعة وتمتع بها أولاده من بعده، فنشأ ابن حزم في تنعم ورفاهية، في قصر والده الوزير، ففيه كانت تنشئة الاجتماعية الأولى؛ كان هذا القصر عالمه الحقيقي نظراً لأنه لم يكن يغادره إلا قليلاً؛ وعكف فيه على حفظ القرآن ورواية الشعر على يد نسوة مؤدبات؛ فقد هياً له الله نساء فاضلات في القصر فُمنَّ على تربيته وتعليمه كما روى هو عن نفسه، حيث حفظ القرآن على أيديهنّ، وتعلم الخط على أيديهن كما الشعر.¹

ويبدو من خلال ما ذكر هو نفسه في ثنايا كتابه "طوق الحمامة" أنه أحيط برعاية واهتمام بالغين لا ينالهما إلا أبناء الطبقات ميسورة الحال التي لها شأن في الدولة، وبالرغم من أنه عاصر صور صارخة لفساد المجتمع الأندلسي عامة والقرطبي خاصة، تربى على الفضيلة وعفة النفس ونبد الرذيلة، وابن حزم ما يفتأ يذكر في ثنايا كتابه أنه لم ينزل في المحارم ولم يندس نفسه بالآثام، يكتب معللاً ذلك "وكان السبب فيما ذكرته أي كنت وقت تأجج نار الصبا وشرة الحداثة وتمكّن غرارة الفتوة مقصوراً محطراً عليّ بين رُقباء ورقائب".² ولا ينبغي أن يفهم من هذا أن ما يحول بين ابن حزم وارتكاب المعصية، هو تلك الرقابة المفروضة عليه، بل الأمر على الحقيقة، محض اختيار نابع من اقتناع راسخ في ضمير ابن حزم، بأن ارتكاب المعاصي مناف للدين كما العقل، وحري بالمسلم الابتعاد عن الانسياق وراء الشهوات والملذات.³

لكن رغد العيش هذا لم يدم طويلاً، فقد ألحق زوال الدولة العامرية واستيلاء البربر على قرطبة عام 400هـ وتعاقب الفتن فيها؛ أذى كبيراً بأسرة ابن حزم. ومما زاد الأمر سوءاً وفاة أخيه الأكبر بالطاعون عام 401هـ، ثم وفاة أبيه عام 402هـ، فحزن على والده حزناً شديداً، وقال في سياق ذلك في رسالته، طوق الحمامة: "ثم شغلنا بعد قيام أمير المؤمنين هشام المؤيد بالنكبات وبعثاء أرباب دولته، وامتحننا بالاعتقال التريب والإرغام الفادح والاستتار، وارزمت الفتنة، ألفت باعها، وعمت الناس وخصتنا إلى أن توفي أبي الوزير رحمه الله، ونحن في هذه الأحوال بعد العصر، يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة عام اثنتين وأربعمائة"⁴.

¹ - ابن حزم الأندلسي: رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ج1، ط1، 1983، ص166.

² - علي بن حزم الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والألف، مؤسسة هنداوي، القاهرة - مصر، 2014، ص152.

³ - سالم يافوت: ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، مرجع سابق، ص43.

⁴ - علي بن حزم الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والألف، مصدر سابق، ص138.

وضاعف من مآسيه وعمق جراحه وفاة زوجته. كل ذلك ولم يبلغ العشرين من عمره حينها؛ وكتب يصف حاله هذه التي آل إليها: "ما انتفعتُ بعيشٍ، ولا فارقني الإطراق والانغلاق مذ ذقت طعم فراق الأحبة... ولقد نَعَصْتُ تذكّري ما مضى كلَّ عيشٍ أستأنفُه. وإنيّ لقتيل الهموم في عداد الأحياء، ودفين الأسي بين أهل الدنيا"¹.

وما زاد من آلامه، اعتلال صحته، إذ أصيب - رحمه الله - بعلّة في الطحال، ذكرها في رسالة الأخلاق والسير في مداواة النفوس: "لقد أصابني علّةٌ شديدة ولدت عليّ ربواً في الطحال شديداً، فولد عليّ ذلك من الضجر، وضيق الخلق، وقلة الصبر، والنزق أمراً حاسبت نفسي فيه، إذ أنكرت تبدل خلقي، فاشتد عجيبي من مفارقتي لطبعي، وصحّ عندي أن الطحال موضع الفرح فإذا فسد تولّد ضده"².

إنّ هذه الظروف جعلت ابن حزم يتحمل مسؤولية أسرته. واضطر - شأن كثير من الأسر القرطبية - نتيجة اقتحام البربر لقرطبة وتخريبها ونهبه أموال أصحابها، إلى الجلاء منها والنزوح إلى "المرية" عام 404هـ.

ولقد توفي ابن حزم - رحمه الله - عن عمر يناهز اثنتين وسبعين عاماً، حيث وافته المنية وهو مُبعد إلى بادية "لبلة" في الأندلس، عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان، سنة 456هـ. وهذا ما أثبتته مؤرخ السير ومعاصره صاعد الأندلسي، حيث قال: "ونقلت من خط ابنه أبي رافع أنّ أباه توفي عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين وأربع مائة، فكان عمره إحدى وسبعين سنة وأشهرًا رحمه الله"³. وكأنه استشعر دنو أجله فنظم أبياتا في رثائه لنفسه حيث قال:

كأنك بالزوار لي قد تبادروا	وقيل لهم أودى عليّ بن أحمد
فيا ربّ مخزون هناك وضاحكٍ	وكم أدمعٍ تدرى وخذّ مخدٍ
عفا الله عني يوم أرحل ظاعناً	عن الأهل محمولاً إلى ضيق ملحدٍ
وأترك ما قد كنت مغتبطاً به	وألقى الذي آنست منه بمرصدٍ
فوا راحتي إن كان زادي مقدماً	ويا نصيبي إن كنت لم أتزود

¹ - نقلا عن: أنور خالد قسيم الزعي: ظاهرة ابن حزم الأندلسي - نظرية المعرفة ومناهج البحث، وزارة الثقافة، عمان - الأردن، ط1، 1995، ص29.

² - ابن حزم الأندلسي: رسائل ابن حزم الأندلسي، ج1، مصدر سابق، ص391.

³ - الذهبي: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ص211.

المطلب الثاني: طباعه وأخلاقه

تميز ابن حزم بالعديد من الخصال والأخلاق، والسجايا، وكتابه (طوق الحمامة) على نحو خاص وهو أشبه ما يكون بالسيرة الذاتية، أتى فيه على ذكر خصاله وطباعه، محمودة كانت أو مذمومة، وذكر الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله أنّ الإمام ابن حزم كان يتصف بالصفات التالية: (1) قوة الحافظة. (2) البديهة الحاضرة. (3) عمق التفكير والغوص في الحقائق. (4) الصبر. (5) الجلد. (6) المثابرة. (7) الإخلاص. (8) الصراحة في الحق. (9) الوفاء. (10) الاعتزاز بالنفس من غير عجب ولا خيلاء. (11) الحدة. وسنكتفي بتحليل البعض منها:

1. حدة اللسان والقلم:

ذهب معظم المؤرخين وكتاب السير والتراجم الذين كتبوا سيرة أبو محمد أنه لديه حدة في اللسان والقلم، جعلته لا يتأدب مع الأئمة في الخطاب، وكان إذا عارضه أحد في مسألة صار كالبحر المغرق، والجحيم المحرق، قال عنه الإمام الذهبي واصفًا شدة ابن حزم وتقرّيعه على مخالفه: "... وبسط لسانه وقلمه، ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب، بل فجَّح العبارة، وسبَّ وجدَّع، فكان جزاؤه من جنس فعله، بحيث إنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة، وهجروها، ونفروا منها، وأحرقت في وقت¹. بل بلغت شدته ولسانه السليط عند مخالفه أن شُبِّهت بسيف الحجاج، فقد عنه ابن العريف أبي العباس (ت: 536هـ): "كان لسان علي بن حزم وسيف الحجاج شقيقين"². يعني بذلك كثرة وقوعه في العلماء، فنفرت منه النفوس، واستحكمت عداوته في القلوب، فألبوا عليه النَّاس، ومنعوا طلبه العلم من الجلوس إليه، وطورد وشرد عن دياره، وأحرقت كتبه. وسبب حدة ابن حزم ترجع من جهة أولى إلى المرض الذي وَرَّثَهُ الضَّجَرُ، وضيق الصدر، وقلة الاحتمال، ومن جهة ثانية إلى ما أصابه من توالي الحن، وتتابع الفتن، بنفور الناس منه، وجفوتهم له وسوء معاملتهم، فَوَلَّدَ ذلك في نفسه إحساسا بإرادة السوء به، وإنزال الأذى بساحته.

2. تبجيل العلماء والاعتراف بفضلهم: على الرغم من حدة لسانه وقلمه، إلا أنه كان شديد

الاحترام للعلماء، مقرا بفضلهم عليه وبفضلهم على الأمة، حتى وأن كانوا مخالفين له في المذهب، يقول في كتابه الإحكام في أصول الأحكام: "إن أبا حنيفة ومالكا - رحمهما الله - اجتهدا وكانا مما أمرًا بالاجتهاد...

¹ - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18، مرجع سابق، ص199.

² - المرجع نفسها الصفحة نفسها

وجريا على طريق مَنْ سَلَفَ فِي تَرْكِ التَّقْلِيدِ فَأُجْرَا فِيمَا أَصَابَا فِيهِ أَحْرَيْنَ وَأُجْرَا فِيمَا أَخْطَا فِيهِ أَجْرًا وَاحِدًا وَسَلَمَا مِنَ الْوِزْرِ فِي ذَلِكَ". وَيَقُولُ أَيْضًا عَنِ الْإِمَامِ مَالِكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "كَانَ عِنْدَنَا أَحَدُ الْأَئِمَّةِ النَّاصِحِينَ لَهُذِهِ الْمَلَّةِ، وَلَكِنَّهُ أَصَابَ وَأَخْطَأَ، وَاجْتَهَدَ فَوْقَ وَحُرِّمَ، كَسَائِرِ الْعُلَمَاءِ وَلَا فَرْقَ"¹. نَاهِيكَ عَنِ اقْرَارِهِ بِفَضْلِ شَيْوَحِهِ وَأَسَاتِدَتِهِ، بَلْ وَمُؤَدَّبَاتِهِ وَمَرِيَاتِهِ.

3. كراهية الكذب والنميمة: ومن الخصال الحميدة التي كان عليها ابن حزم كراهيته الكذب، يقول: "والنميمة فرع من فروع الكذب، ونوع من أنواعه، وكل نَمَامٍ كَذَّابٍ، وما أُحْبِبْتُ كَذَابًا قَطُّ، وَإِنِّي لِأَسَامِحَ فِي إِخَاءِ كُلِّ ذِي عَيْبٍ وَإِنْ كَانَ عَظِيمًا، وَأَكِلُ أَمْرَهُ إِلَى خَالِقِهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَخَذَ مَا ظَهَرَ مِنْ أَخْلَاقِهِ حَاشَا مَنْ أَعْلَمَهُ يَكْذِبُ؛ فَهُوَ عِنْدِي مَاحٍ لِكُلِّ مَحَاسِنِهِ، وَمُعَفٌّ عَلَى جَمِيعِ خِصَالِهِ، وَمُنْذِهْبٌ كُلِّ مَا فِيهِ، فَمَا أَرْجُو عِنْدَهُ خَيْرًا أَصْلًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ ذَنْبٍ فَهُوَ يَتُوبُ عَنْهُ صَاحِبُهُ، وَكُلُّ ذَاِمٍ فَقَدْ يُمْكِنُ الْاسْتِتَارُ بِهِ وَالتَّوْبَةُ مِنْهُ حَاشَا الْكُذْبِ؛ فَلَا سَبِيلَ إِلَى الرَّجْعَةِ عَنْهُ، وَلَا إِلَى كِتْمَانِهِ حَيْثُ كَانَ"². وَهَذَا الْخِصْلَةُ هِيَ مَا جَعَلْتَهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَلَا يَخْشَى فِيهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ.

4. الوفاء وعزة النفس: اتصف ابن حزم بخصلتين يرى أنه جُبل عليهما، هما الوفاء وعزة النفس، وكل واحدة من هاتين السَّجِيَّتَيْنِ تَدْعُو لِنَفْسِهَا، فَالْوَفَاءُ يَدْعُو إِلَى الثَّبَاتِ وَعَدَمِ التَّلَوُّنِ وَالنَّسْيَانِ، يَصْرَحُ ابْنُ حَزْمٍ مَفْتَخِرًا بِهَذِهِ الْخِصْلَةِ: "لَقَدْ مَنَحَنِي اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ مِنَ الْوَفَاءِ لِكُلِّ مَنْ يَمُتُّ إِلَيَّ بِلِقِيَةِ وَاحِدَةٍ، وَوَهَبَنِي مِنَ الْمَحَافِظَةِ لِمَنْ يَتَذَمَّمُ مِنِّي وَلَوْ بِمُحَادَثَتِهِ سَاعَةً حِظًّا، أَنَا لَهُ شَاكِرٌ وَحَامِدٌ، وَمِنْهُ مُسْتَمِدٌّ وَمُسْتَزِيدٌ. وَمَا شَيْءٌ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنَ الْغَدْرِ، وَلِعَمْرِي مَا سَمَحْتُ نَفْسِي قَطُّ فِي الْفِكْرَةِ فِي إِضْرَارِ مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَقْلُ ذِمَامٍ، وَإِنْ عَظُمَتْ جَرِيرَتُهُ، وَكَثُرَتْ إِلَيَّ ذُنُوبُهُ"³. إِلَّا أَنَّ وَفَاءَ ابْنِ حَزْمٍ لَا يَلْبِثُ أَنْ يَتَعَارِضَ مَعَ خِصْلَةٍ أُخْرَى لَا يَتَسَعُ الْمَجَالُ لِحَمَا مَعَا فِي صَدْرِ إِنْسَانٍ، وَهِيَ عِزَّةُ النَّفْسِ، الَّتِي لَا تَقْرُّ الضَّمِيمَ، وَتَهْتَمُ بِأَقْلٍ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا مِنْ تَغْيِيرِ الْمَعَارِفِ، فَتَدْعُو إِلَى الْهَجْرِ وَالنَّسْيَانِ.

¹ - محمد علي عباد حميسان: حَدَّةُ ابْنِ حَزْمٍ وَأَسْبَابُهَا، شبكة الألوكة (<https://www.alukah.net>) زيارة الموقع: 2022/07/08 على الساعة: 11.00.

² - علي بن حزم الأندلسي: طُوقُ الْحَمَامَةِ فِي الْأَلْفَةِ وَالْأَلْفِ، مصدر سابق، ص 63.

³ - المصدر نفسه، ص 104.

5. الورع والبعد عن المعاصي: رزق ابن حزم من صحة الدين، وسلامة اليقين، وشدة الورع، حظاً عظيماً، صده عن مواجهة الإثم، ومقارفة المعصية، وهو أمر لم يكتف ابن حزم بأن أثبتته لنفسه فحسب بل أقسم بأجل الأقسام عليه، يقول: " يعلم الله - وكفى به عليمًا - أي بريء الساحة، سليم الأديم، صحيح البشرة، نقي الحجرة، وإني أقسم بالله أجل الأقسام أي ما حللت مئزري على فرج حرام قط، ولا يحاسبني ربي بكبيرة الزنا مذ عقلتُ إلى يومي هذا، والله المحمود على ذلك، والمشكور فيما مضى، والمستعصم فيما بقي ".¹ بالرغم من أنه عاصر صور صارخة لفساد المجتمع الأندلسي عامة والقرطبي خاصة.

6. الفخر والاعتداد بالنفس من غير عُجب: وهي صفة تستشف من مدحه لنفسه ونسبة الفضائل إليها صراحة، ودون مداراة، ومن غير عُجب، ولا خيلاء، وكان يعدّ العجب آفة الإخلاص، وآفة الرأي، وآفة الأخلاق الفاضلة، ويدعو كل امرئ إلى تعديل خطئه قبل تقدير صوابه، يقول في رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل: " من امتحن بالعجب فليفكر في عيوبه. فإن أعجب بفضائله فليفتش ما فيه من الأخلاق الدنيّة، فإن خفيت عليه عيوبه جملة حتى يظنّ أنه لا عيب فيه، فليعلم أنه مصيبة للأبد وأنه أتمّ الناس نقصاً وأعظمهم عيوباً وأضعفهم تمييزاً " إن أعجبت بأرائك فتفكر في سقطاتك، والأغلب أن خطأك أكثر من صوابك ".²

7. ذكاء حاد وحافظة قوية: اجتمعت في ابن حزم مواهب وقدرات عقلية، من أهمها: ذاكرة قوية، وذكاء مفرطاً، وذهناً سيالاً، وبديهة حاضرة... قال الیسع ابن حزم الغافقي (ت: 575هـ): "أما محفوظُهُ فَبَحْرٌ عَجَّاجٌ، وماءٌ نَجَّاجٌ، يَخْرُجُ مِنْ بَحْرِهِ مَرْجَانُ الْحِكْمِ، وَيَبْتِ بِشَجَّاحِهِ أَلْفَاؤُ النَّعْمِ فِي رِيَاضِ الْهِمَمِ، لَقَدْ حَفِظَ عُلُومَ الْمُسْلِمِينَ ".³ كما تميز بقوة ملاحظة، وقدرة استدلالية هائلة، مكتناه من أن يكون راوية أميناً، ومحققاً نزيهاً، ومؤرخاً واسع الأفق. وكذلك أوتي من الصفات عمقا في التفكير وغوصا على الحقائق، وحدّة في الذكاء، فهو لا يكتفي بالاستقراء والإحصاء، حتى يعرف كل مسألة ليعرف أسرارها، ولا يكتفي بمعرفة الوقائع حتى يعرف بواعثها والدافع إليها، كل هذا بدافع حب العلم.

¹ - علي بن حزم الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والألاف، مصدر سابق، ص152.

² - ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج1، مصدر سابق، ص386.

³ - ابن حزم الأندلسي: الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس، تحقيق، محمد بن زين العابدين رستم، دار أضواء السلف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 2005، ص91.

8. حبه الشديد لطلب العلم: من صفاته انصرافه كلياً منذ صباه إلى طلب العلم وتحصيله، ولذلك جد فيه وصبر في طلبه، تقرباً إلى الله ببيان الحق والنطق به، ويظهر ذلك واضحاً في المناظرة الشهيرة التي دارت بينه وبين أبي الوليد الباجي (ت: 474هـ) فقيه الأندلس معاصر ابن حزم الذي قال: "أنا أعظم منك همّة في طلب العلم؛ لأنك طلبته وأنت مُعان عليه، فتسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وأنا أسهر بقنديل بئس السوق"، فقال له ابن حزم: "هذا الكلام عليك لا لك؛ لأنك إنما طلبت العلم وأنت في هذه الحال رجاء تبديلها بمثل حالي، وأنا طلبته في حال ما تعلمه وما ذكرته، فلم أُرْجُ به إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة".¹ بالرغم مما تعرض له من خصومات وعدوات، واحراق كتبه، فعلمه راسخ في صدره، أو كما أنشد:

إن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي	تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يقيم معي حيث استقلت ركائي	وينزل إن أنزل ويدفن في قبري
دعوني من إحراق رق وكاغد	وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
وإلا فعدوا بالكتاتيب بدءة	فكم دون ما تبغون لله من ستر
كذاك النصارى يحرقون إذا علت	أكفهم القرآن في مدن الثغر

وخلال ما تقدم بخصوص صفات وطباع وأخلاق ابن حزم يمكن القول أن الأخير قد تمتع بشخصية مميزة، بالرغم من أنها كانت تحمل كثير من الصفات التي عدها أعدائه سيئات استغلوها في طعنه، خاصة وأنه عاش حياة مضطربة بسبب مبادئه التي نادى بها ومذهبه الذي دافع عنه بإخلاص، وأنه استعان بالعلم على وحشة الغربة ورحلاته (التهجير) الذين عانا منهما خلال حياته.

¹ - ابن حزم الاندلسي: الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس، مصدر سابق، ص69.

المطلب الثالث: حياة ابن حزم العلمية

أولاً: شيوخه ومؤلفاته

أ/ شيوخه

نشأ ابن حزم في بيت هيا له كل ظروف التعلم والاقبال على العلم، وكان نسوة القصر - كما سبق الإشارة إليه - هن أول من تولى عملية تعليمه وتأديبه؛ لقد أخذن عنهن فنون الكتابة الخط والشعر، كما تعلم على أيديهن القرآن الكريم. كما تعلم من جدّه أيضاً. وكان والده أستاذاً له في الأدب والفقه والتاريخ بخاصة إذ كانت له اليد الطولى والتأثير القوي في تشكيل ثقافة ابنه التاريخية حيث كان يحدثه بالأحداث التاريخية المهمة بحكم شخصه ومكانته في الدولة، كما لعب دوراً في غرس معالم الزهد والصبر في قلبه من خلال موعظته إيّاه. وصحب ابن حزم في أول طلبه أبا مؤدبه ومعلمه، الحسن بن علي الفاسي. الذي قال عنه في باب المعصية من طوق الحمامة: "فلما ملكت نفسي وعقلت صحت أبا علي الحسين بن علي الفاسي في مجلس أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي شيخنا وأستاذه - رضي الله عنه - وكان أبو علي المذكور عاقلاً عاملاً عالماً ممن تقدّم في الصلاح والنسك الصحيح في الزهد في الدنيا والاجتهاد للآخرة، وأحسبه كان حضوراً لأنه لم تكن له امرأة قط، وما رأيت مثله جُملة علماً وعملاً وديناً وورعاً، فنفعني الله به كثيراً، وعلمت موقع الإساءة وقبح المعاصي. ومات أبو علي - رحمه الله - في طريق الحج".¹

ثم أعقبت مرحلة الصبا هذه، مرحلة تعليمية أخرى أكثر نضجاً، وتحرراً، بدأت سنة 266هـ في فترة اشتعال فتيل الفتنة بالأندلس، حيث عرف فيها ابن حزم تحرراً من جدران القصر، بخروجه لما وراءه، فبدأت رحلته التعليمية مرحلة جديدة متخذة صورة أكثر انتظاماً لاحتكاكه بالعالم الخارجي، ومخالطته لشيوخ عصره من أساتذة الأندلس وقرطبة الكبار، وسماعه منهم، وكان جده قد ساعده في تحصيله العلمي وأرسله إلى خيرة مشايخ وفقهاء عصره، فعني أكثر ما عني في قرطبة بالشعر ثم الأحاديث النبوية والتفسير، فكان أول سماع له في السنة نفسها يعني (266هـ) من أبي عمر حمد بن محمد بن الجسور القرطبي (320-401هـ) وكان هذا الشيخ راوياً للحديث وعارفاً بأسماء الرجال، فضلاً عن ميوله الأدبية، وقد قرأ عنه ابن حزم التاريخ، وروى عنه الموطأ والمدونة. وثاني شيوخه كان أبو الوليد الفرضي بن يوسف القرطبي الحافظ (ت: 212هـ)، وكان محدثاً حافظاً، راوية، وقد أخذ عنه ابن حزم رواية لا دراية حيث لا يرد ذكره في

¹ - علي بن حزم الأندلسي: طوق الحمامة في الألف والألف مصدر سابق، ص 152.

أسانيد مروياته. أما ثالثهم فهو أبو القاسم المصري عبد الرحمان بن محمد بن أبي يزيد خالد الأزدي (ت: 211هـ)، كان نسابة أديبا الذي غادر الأندلس إبان حروب الطوائف.¹ ومن أساتذته في الفلسفة والمنطق ابن الكتاني محمد بن الحسن المذحجي (ت: 420هـ) الطبيب الفيلسوف، الذي قال بشأنه: "وأما رسائله أستاذنا أبي عبد الله بن الحسن المذحجي المعروف بابن الكتاني فمشهورة متداولة وتامة الحسن، فائقة الجودة، عظيمة المنفعة"². يضاف إلى هؤلاء شيوخ آخرون أخذ عنهم ابن حزم كل حسب تخصصه ودرجة تبحره في العلم.

هذا من جهة شيوخه، أما جهة تلاميذه، فلم تذكر كتب التراجم عددا كبيرا من تلاميذ ابن حزم ويرجع ذلك لتأليب علماء عصره ضده بسبب مخالفته لهم في المذهب، وحدته، وسلطة لسانه وقلمهم في مجادلتهم، وكذلك الاضطهاد السياسي الذي تعرض له. ومن تلاميذه أبنائه الثلاثة: أبو رافع الفضل بن علي بن حزم (ت: 479هـ)، يعقوب بن علي بن حزم (ت: 503هـ)، عبد الله بن محمد بن العربي (ت: 493هـ) عبد الله بن محمد بن العربي (ت: 493هـ)، وقد أذاعوا علم أبيهم ونشروه من بعده. كما أخذ عنه علي بن سعيد العبدري (ت: 493هـ) بن محمد بن شريح، وهو آخر من روى عن ابن حزم بالإجازة (ت: 539هـ). ومن تلاميذه كذلك الإمام أبو بكر - محمد بن الوليد الطرطوشي (ت: 520هـ).³

ب/ مؤلفاته

لمع ابن حزم في الدين والشعر والأدب والتاريخ، وكان صاحب علم في كل فن، ووقف أكثر وقته على التأليف، فترك مؤلفات ضخمة قيمة تدل على سعة اطلاعه وغزير علمه وعظيم أدبه، حتى قيل أنّ كتبه بلغت أربعمئة مجلد في نحو ثمانين ألف ورقة، في الفقه وأصول والمنطق، والفلسفة، والتاريخ، والأنساب واللغة والأدب.⁴

ولقد تحدث الإمام ابن حزم . رحمه الله . بما أنعم الله عليه من كثرة التصانيف وسعة التأليف في رسالة فضل الأندلس وذكر رجالها، فقال: " ولنا فيما تحققنا به تأليف جمّة ، منها ما قد تمّ، ومنها ما

¹ - آسية وعيل: فلسفة التربية في فكر ابن حزم، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية (تخصص كتاب وسنة)، جامعة الجزائر، 2013/2014، ص 23.

² - محمد أبو زهرة: ابن حزم وحياته وعصره آرائه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، 1978، ص 84.

³ - آسية وعيل: فلسفة التربية في فكر ابن حزم، مرجع سابق، ص 29.

⁴ - الذهبي: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ص 187.

شارف التمام، ومنها ما قد مضى منها صدرٌ ويعين الله على باقيه، لم نقصد به قَصْدَ مباحةٍ فنذكرها، ولا أردنا السمعة فنسميها، والمراد بها رُبُّنا جل وجهه، وهو ولي العون فيها، والمليُّ بالمجازة عليها، وما كان لله تعالى فسيبوا، وحسبنا الله ونعم الوكيل¹

ومن مؤلفاته التي حقق ونشر البعض منها: رسالة: الأخلاق والسير في مداواة النفوس. يظهر فيه اتجاهه الفكري الفلسفي، ويحوي ما يشبه المذكرات اليومية حول ملاحظاته المنتزعة من تجاربه ومشاهداته الشخصية وقد صاغها في تركيز ودقة فجاءت كأثما مبادئ عامة أو حكم بالغة.

وفيما يتعلق بنشاطه في ميدان الفقه وما قدم فيه من إنتاج علمي فقد ألف كثيراً من الكتب، منها كتاب: الإجماع ومسائله. وصنف أيضاً كتاباً في الفقه على مذهبه الظاهري سماه: **المحلى**. وله في أصول الفقه كتاب: **الإحكام في أصول الأحكام**. ويعد أحد أهم كتب ابن حزم التي وثقت منهجه في الاستدلال، وأسلوبه في التعامل مع النصوص الشرعية، وفضلاً أحد أهم المراجع العلمية في أصول الفقه الظاهري، فهو إلى جانب ذلك موسوعة فكرية، مليئة بالأفكار، ومناقشة الإشكالات العلمية، ومحامتها إلى الأصول. وفيه تبرز شخصية ابن حزم العقلانية، التي تناقش القضايا بأصول الاستدلال العقلي، ولا تقبل زعماً ما لم يقم عليه البرهان، ويثبت بالحجة والدليل. ومن رسائله: **رسالة مراتب العلوم**. ومن كتبه أيضاً كتاب: **الفصل في الملل والأهواء والنحل**.

ومن أبرز إسهامات ابن حزم في التأليف التاريخي كتابه: **جمهرة أنساب العرب**. وكان ابن حزم إلى جانب علمه في الفقه وعلم الكلام أديباً (أديب الفقهاء)، فأكبر أثر أدبي له في النشر رسالة في صفة الحب ومعانيه، وأسبابه وأعراضه... الموسومة بـ: **طوق الحمامة في الألفة والألاف**. وقد ألفها استجابة - فيما يذكر - استجابة لطلب عبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أمير المؤمنين الناصر رحمه الله².

ومن مصنفاته المفقودة: كتاب في: السياسية، إذ وصف بكون من أهم في التأليف السياسية بالمغرب الإسلامي، وله أثره على كل من جاء بعده، كابن رضوان المالقي (نسبة إلى مالقة إحدى مدن الأندلس) الذي نقل عنه في: "الشهب اللامعة" وابن الأزرقي في: "بدائع السلك" ولعل من أهم القضايا التي نقلها عنه لاحقوه

¹ - ابن حزم الأندلسي: **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تحقيق: احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ج2، ط2، 1987، ص186، 187.

² - علي بن حزم الأندلسي: **طوق الحمامة في الألفة والألاف**، مصدر سابق، ص7.

الحاجة إلى وجود الخلافة، وحكمتها، ومهمتها، ووظائف الإمام والوزارة، إضافة إلى مسألة الشورى وضرورتها وتشجيع العمران، وإقامة المؤسسات، وعزل الحاكم وغير ذلك من القضايا السياسية¹.

ثانيا: ابن شخصية واحدة ووجوه متعددة

يعد أبو محمد واحدا من أعلام الحضارة الإسلامية بوجه عام، ومن أبرز علماء الأندلس على نحو خاص، وقد تجلت في شخصيته، تلك الظاهرة الموسوعية، التي كانت سمة واضحة لدى معظم علماء المسلمين، فقد كتب في الفقه وأصول الفقه والأنساب والتاريخ والمنطق كما كتب في الأخلاق، وقد كان شاعرا وأديبا على درجة عالية من الحس المرهف. ويرجع إلى تكوينه العلمي على أيدي شيوخ جهابذة اعترف لهم بالفضيل والجميل، ونقل علمهم وزاد عليه من علومه ومعارفه إلى تلاميذه، كما ضمنه بطون الكتب الرسائل التي شكلت مدونة حزمية (نسبة إلى ابن حزم) لا تزال تتوارثها الأجيال.

أ/ ابن حزم الفقيه

ارتبط اسم ابن حزم بالفقه الظاهري ارتباطا أصبح بموجبه أحدهما يُدُلُّ على الآخر؛ فلا يذكر ابن حزم إلا ويذكر الفقه الظاهري ولا يذكر الأخير إلا مقتزنا باسم ابن حزم. فما المقصود بالمذهب الظاهري، وما هي اسهامات ابن حزم في الفقه الظاهري؟

المذهب الظاهري مذهب فقهي، وقيل منهج فكري وفقهي، وهو المذهب الذي يقرر أن المصدر الفقهي هو ظواهر النصوص من الكتاب والسنة، فلا رأي ولا إعمال للعقل في حكم من أحكام الشرع. فليس في هذا المذهب قياس، ولا استحسان، ولا ذرائع، ولا مصالح مرسله. وإن لم يكن من نص، فيؤخذ بحكم الاستصحاب، ويقصد به بقاء الحكم المبني على النص، حتى يوجد دليل من النصوص يغيره. وقد قرر الظاهرية أن الأصل في الأشياء الإباحة إلا ما جاء به نص يثبت تحريمه. "ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به. وهم الظاهرية. وجعلوا مدارك الشرع كلها منحصرة في النصوص والإجماع وردوا القياس الجلي والعلّة المنصوصة إلى النص، لأن النص على العلة نص على الحكم في جميع محالها".² فالقائلون بهذا المذهب امتازوا

¹ - عبد السلام سعد: ابن حزم بين الفلاسفة والتكلمين، دكتوراه علوم (تخصص الفلسفة)، إشراف لعموري عيش، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر، 2008 / 2009، ص 99. (الرسالة منشورة عبر شبكة الويب)

² - عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة العلامة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 1، 2006، ص 454.

عن سائر المذاهب الأخرى بتمسكهم بحرفية النصوص، والنزول عند الأثر المسموع، مع استبعاد لكل تأويل مجازي.

ويرجع المذهب الظاهري في نشأته إلى المشرق وتحديدًا بغداد، وأول من دعا إليه الإمام الفقيه "داود بن علي بن خلف الأصبهاني" (ت: 270هـ) الذي عاش ببغداد خلال القرن الثالث الهجري وقد كان شافعياً قبل أن يصير ظاهرياً، ولقد رأى أن المصادر الشرعية هي النصوص فقط، مبطلاً المصادر الاستنباطية كالقياس والرأي والاستحسان وسدّ الدرائع وغيرها من مصادر التشريع التي تعارفت عليها المذاهب السنية، ولذلك ذكره الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ مدينة السلام: "أول من أظهر انتحال الظاهر ونفى القياس في الأحكام قولاً، واضطر إليه فعلاً فسماه دليلاً".¹ ومن دواعي ظهور المذهب الظاهري ما يلي:

- الإسراف في استخدام القياس والذي أدى إلى اتساع الشقاق من الفروع والسنن إلى الأصول.
- تأثر الإمام داود الظاهري بالإمام الشافعي في الأخذ بالنصوص وتعزيزها.
- ازدهار الحركة الباطنية التي تدعوا إلى ضرورة وجود إمام مستتر يعلم الناس ما ليس في وسعهم أن يتعلموه من ظاهر الآيات والأحاديث.

أما بداية المذهب الظاهري في المغرب والأندلس فتتبع إلى طائفة من علماء قرطبة في القرن الثالث الهجري، الذين سافروا إلى بلاد المشرق لتلقي العلم، ومن بينهم: أبقى بن مخلد (ت: 276هـ) وابن وضاح (ت: 286هـ)، انتقالاً إلى المشرق ومؤسس المذهب داود حي. ومن أشهر الأندلسيين الذين اتخذوا لأنفسهم مذهب أهل الظاهر قبل ابن حزم، منذر بن سعيد البلوطي (ت: 355هـ). ووسط هؤلاء جميعاً يعد الإمام ابن حزم صاحب الفضل الأكبر في تأسيس المدرسة الظاهرية أو ما بات يعرف بالحزمية (نسبة إلى ابن حزم) في الأندلس وتحديدًا شرق الأندلس. بالرغم من أن الأندلس في تلك الفترة كانت خاضعة فقهيًا للمذهب المالكي، وكان الخروج عليه كأنه خروج عن الدين، فلقد أضفى فقهاء المالكية ومن ساندهم من الحكام هالة عليه، فكبلت حركة الاجتهاد، وقيدت حرية التجديد الديني، وانتشرت حمى التقليد المذهبي والتعصب لدى متأخرة المقلدة.

¹ - محمد عبد المومن: المدرسة الحزمية في الفقه وعلم الكلام، مجلة الاصلاح التونسية، مجلة إلكترونية فكرية ثقافية، تصدر شهرياً، عن منتدى الفارابي للدراسات والبدائل <https://alislahmag.com/> تاريخ زيارة الموقع: 2022/10/10: الساعة 16.00

لقد أخذ ابن حزم - الذي كان مالكيًا في أول أمره، ثم صار شافعيًا - على نفسه مواصلة الجهد الذي بذله داوود بن علي الظاهري دون أن يقتصر على آراء مؤسسه، يقول ابن خلدون: "وقد فعل ذلك ابن حزم في الأندلس، على علو رتبته في حفظ الحديث، وصار إلى مذهب أهل الظاهر، ومهّر فيه، باجتهاد زعمه في أقوالهم. وخالف إمامهم داود".¹ ليصبح بذلك أبرز فقهاء المذهب بل ومجدهه^(*)، الذي دافع عن المذهب، وقرر أصوله وقواعده، ولولا جهوده لكانت أصول هذا المذهب وفروعه مندثرة ونسيا منسيا، لقد جادل الفقهاء المالكيين جدالًا عنيفًا في سبيل إرساء أسس مذهبه وترسيخ مبادئه. ومن بين الأسس التي يقوم عليها المذهب الظاهري في صورته الحزمية نذكر:

أولاً: الأخذ بظاهر النصوص، أي الاعتماد فقط على الكتاب والسنة والإجماع. والإجماع بالنسبة للظاهرية هو إجماع الصحابة فقط، يقول: "وأصل مذهبنا أنّ الأخذ بظاهر القرآن والحديث الصحيح حقّ ونحن على يقين من أنّنا مصيبون في ذلك وفي كلّ قول أدانا إليه أخذنا بظاهر القرآن والحديث الصحيح".² ويؤكد الأمر نفسه في موضع آخر فيقول: "واعلموا أنّ دين الله ظاهر لا باطن فيه، وجهر لا سرّ تحته، كلّ برهان لا مسامحة فيه، (...)، ولا كان عنده عليه السلام سرّ ولا رمز ولا باطن"³، ومن قال بغير ذلك فقد خالف دينه وحاد عن الحقّ. ويقدم ابن حزم في كتابه (النبهة الكافية) البرهان الشرعي تأكيداً لرأيه، فيقول: "برهان ما قلنا حمل الألفاظ على مفهومها من ظاهرها، قول الله تعالى في القرآن « بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ » [الشعراء: 195] وقوله تعالى « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » [إبراهيم: 4] فصحّ لنا أن البيان

¹ - عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة العلامة ابن خلدون، مرجع سابق، ص 455.

^(*) تختلف المدرسة الظاهرية عن المدرسة الحزمية في أمرين أساسيين أولهما: اختلاف موقف ابن حزم عن موقف داوود بن علي الظاهري في مسألة القياس، فالأخير لا ينكر القياس الجليّ أما ابن حزم فينكر القياس مطلقاً الخفي والجليّ. أمّا ثانيهما فهو يكمن في تطبيق ابن حزم لأصول المذهب الظاهري على العقائد الإسلامية وحتى على اليهودية والنصرانية، فظاهريته كانت أعمق من أن تنحصر في دائرة التشريع وأصول الفقه بل نجدتها تلون آراءه العقديّة وتصبغها بصبغة مذهبه الخاص. (محمد عبد المومن: المدرسة الحزمية في الفقه وعلم الكلام، مرجع سابق).

² - ابن حزم: الأحكام في أصول الأحكام، ج 5، ص 81.

³ - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج 2، تحقيق، محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط 2، 1996، ص 274-275.

لنا إنّما هو القرآن والسنة على ظاهرها وموضوعها فمن أراد صرف شيء من ذلك الى تأويل بلا نص ولا إجماع فقد افتري على الله وعلى رسوله، صلى الله عليه وسلم، وخالف القرآن والسنة وحرف الكلم عن مواضعه".¹

ثانياً: **الأخذ بالدليل**: عند ابن حزم الدليل هو كل ما ثبت لدينا بالعقل ومنه ما هو وقف على التّصوّص باعتباره مصدراً من مصادر التشريع، وفي رده على من اتهم الظاهرية بأن قولهم بالدليل فيه خروج عن النصّ، يقول: "ظنّ قوم بجهلهم أنّ قولنا بالدليل خروج منّا عن النصّ والإجماع، وظنّ آخرون أنّ القياس والدليل واحد، فأخطأوا في ظنّهم أفحش خطأ؛ ونحن إن شاء الله -عزّ وجلّ- نبين الدليل الذي نقول به بياناً يرفع الإشكال جملة، فنقول - وبالله تعالى التّوفيق -: الدليل مأخوذ من النصّ ومن الإجماع".² ويختلف عن القياس.

ثالثاً: **إبطال الرأي، وإبطال الاستحسان** واعتباره اتباعاً للهوى وشهوات النفس.

إبطال القياس: وتعريفه حسب ابن حزم: "القياس عند القائلين به والمبطلين له أن يحكم في شيء ما بحكم لم يأت به نص لشبهه شيئاً آخر ورد فيه ذلك الحكم وهو باطل كله". وقد ساق حججاً يؤكد من خلالها بطلان القياس:

- من عمل بالقياس فقد خالف أمر الله عز وجل في الرد إليه عند التنازع.
- كمال الشريعة وإحاطتها بكل شيء.
- من قال بالقياس فقد شرع في الدين ما لم يأذن به الله.
- ليس كل القياس حقاً، بل فيه باطل، وفي المقاييس ما يناقض بعضاً بعضاً، فلا بد أن يُصار إلى الترجيح بينها حتى يعلم القياس الصحيح من الفاسد.
- لا مستند لأهل القياس في استخراج علل النصوص: فلا بد في القياس من علة موجبة للحكم، تحريماً أو تحليلاً.
- إجماع الصحابة على بطلان القياس.³

¹ - نقلاً عن: محمد عبد المومن: المدرسة الحزمية في الفقه وعلم الكلام، مرجع سابق.

² - ابن حزم: الأحكام في أصول الأحكام، ج5، ص6.

³ - ابن حزم الاندلسي: الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس، مصدر سابق، ص 174، 177.

رابعاً: **رفض التعليل**، لأنه كما يقول: "وبالجملة ليس في الشرائع علة أصلاً بوجه من الوجوه ولا شيء يوجبها إلا الأوامر الواردة من الله عز وجل فقط، إذ ليس في العقل ما يوجب تحريم شيء مما في العالم وتحليل آخر، ولا إيجاب عمل وترك إيجاب آخر. فالأوامر أسباب موجبة لما وردت به. فإذا لم ترد فلا سبب يوجب شيئاً أصلاً ولا يمنعهُ".¹

خامساً: **رفض التقليد**: شدد ابن حزم على إبطال التقليد بما في ذلك تقليد المجتهد في الفقه، فرفض تقليد الأئمة والمذاهب جميعاً، معتبراً أن التقليد بدعة من البدع التي جاءت بعد عصر النبوة. وفي هذا يقول: "فكان أهل هذه القرون الفاضلة المحمودة يطلبون حديث النبي، صلى الله عليه وسلم، والفقه في القرآن، ويرحلون في ذلك إلى البلاد، فإن وجدوا حديثاً عنه صلى الله عليه وسلم عملوا به واعتقدوه، ولا يقلد أحد منهم أحداً البتة، فلما جاء أهل العصر الرابع تركوا ذلك كله، وعولوا على التقليد الذي ابتدعوه ولم يكن قبلهم، فاتبع ضعفاء أصحاب أبي حنيفة أبا حنيفة، وأصحاب مالك مالكا، ولم يلتفتوا إلى حديث يخالف قولهما".² وفي سياق كراهته للتقليد أنكر عن نفسه تبعيته لمؤسس المذهب الظاهري، وهو ما صرح به قائلاً: "ولا يجهل علينا جاهل فيظن أننا متبعون مذهب الإمام أبي سليمان داود بن علي، إنما أبو سليمان شيخ من شيوخه ومعلم من معلمينا، إن أصاب الحق فنحن معه أتباعاً للحق، وإن أخطأ اعتذرنا له وأتبعنا الحق حيث فهمناه وبالله التوفيق".³ فالتقليد في نظره مدعاة للحمود والتقهقر، والاجتهاد نصيب الكل، كل بحسب طاقته، ولو أدى ذلك إلى الخطأ في الاجتهاد، فهو يفضلهُ على التقليد مع الإصابة.

ب/ ابن حزم المتكلم

من المسائل الكلامية التي كان لابن حزم رأي فيها نذكر:

1- مسألة التوحيد

يقتضي التوحيد من المؤمن حسب ابن حزم أن يؤمن بأن الله خالق كل شيء، فهو سبحانه إله لكل شيء وخالق كل شيء دونه، يقول أبو محمد: "أول ما يلزم كل أحد، ولا يصح الإسلام إلا به أن يعلم المرء

¹ - ابن حزم: التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق، إحسان عباس، دار الحياة، بيروت - لبنان، ط1، ص169.

² - ابن حزم: الأحكام في أصول الأحكام، ج6، ص142.

³ - نقلاً عن، عبد الحليم عويس: ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، مرجع سابق، ص345.

بقلمه علم يقين وإخلاص، لا يكون لشيء من الشك فيه أثر، وينطق بلسانه ولا بد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله¹، وأنه سبحانه خلق كل شيء بغير علة أوجبت عليه أن يخلق، فالعالم لم يصدر منه سبحانه صدور المعلول عن العلة، بل خلقه سبحانه وهو المرید المختار الفعال لما يريد، وهو سبحانه لا يشبهه أحد من الحوادث، فليس كمثل شيء وهو العليم الخبير يتنزه سبحانه عن مشابحة المخلوقين.

2- مسألة الذات والصفات

لغن علماء في أن الله تعالى واحد فإنهم اختلفوا في علاقة ذاته بصفاته وعدد أسمائه الحسنی وقالوا أن كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تنسب إلى الله العلم والقدرة والإرادة والحياة والكلام، والسؤال المطروح: هل هذه الصفات هي أسماء زائدة أم عين الذات؟ بعبارة أخرى هل الأسماء مجرد صفات أم عين للذات الإلهية؟

لا يختلف مذهب ابن حزم في مسألة الذات عن المذاهب الكلامية السنية القائمة على أساس تنزيه الخالق سبحانه وتعالى عن مشابحة أحد من خلقه، لكنه يخالف الجمهور في مسألة الصفات حيث يقر أن ما ذكر في القرآن الكريم من أسماء حسنى من قبيل السميع العليم الحكيم البصير هي أسماء خاصة به سبحانه وليس لأحد أن يسميها صفات، وهي الذات شيء واحد. هذا ما نجد صريحاً في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل، حيث يقول: "فلا يجوز القول بلفظ الصفات ولا اعتقاده بل هي بدعة منكورة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: 23]"². وهو بذلك يرد على رأي الذين قالوا إنها صفات مخالفاً في الوقت نفسه الأشاعرة والمعتزلة.

3- مسألة الجبر والاختيار

من المسائل الكلامية الخلافية مسألة الجبر والاختيار، فالجبرية على سبيل المثال قالوا أن الانسان مجبر في أفعاله وليس له إرادة البتة، فالله خالق أفعال العباد، بينما قال المعتزلة بأنه حر وخالق لأفعاله، وابن حزم في هذا السياق ميّز بين الاختيار الإلهي الذي هو خاصّ به سبحانه، حيث يفعل سبحانه ما شاء، كيف ما شاء متى شاء وإذا شاء، والاختيار البشري الذي أضافه الله إلى خلقه فهو ما خلق فيهم من الميل إلى شيء ما. وفي هذا

¹ - ابن حزم: المحلى، تحقيق، أحمد محمد شاكر، مطبعة النهضة، القاهرة - مصر، (د. ت) ج 1، ص 3.

² - محمد عبد المومن: المدرسة الحزمية في الفقه وعلم الكلام، مرجع سابق.

الصدد بنده يقول: "والفرق بين الفعل الواقع من الله عز وجل والفعل الواقع منا هو أنّ الله تعالى اخترعه وجعله جسماً أو عرضاً أو حركة أو سكوناً أو معرفة أو إرادة أو كراهية، وفعل عزّ وجلّ كلّ ذلك فينا بغير معاناة منه، وفعل تعالى لغير علّة. وأمّا نحن فإنما كان فعلاً لنا لأنّه عزّ وجلّ خلقه فينا وخلق اختيارنا له وأظهره عزّ وجلّ فينا محمولاً لاكتساب منفعة أو لدفع مضرة ولم نخرعه نحن".¹ وموقفه هذا هو رد قوي على مبدأ الجبر والقائلين به كالجبرية، لكونه مخالفاً للحسن والنص واللغة.

4- مسألة مرتكب الكبيرة

إنّ أوّل مسألة بعد الإمامة أثارَت ضجةً كبرى بين المسلمين وفرقتهم إلى فرق: مسألة حكم مرتكب الكبيرة، ومنشأ الخلاف يتمثل في: هل مرتكب الكبيرة مؤمن أو مشرك؟ هل مرتكب الكبيرة مؤمن أو كافر؟ هل مرتكب الكبيرة مخلد في النار أو لا؟ وابن حزم عالج هذه المشكلة التي شغلت حيزاً من الفكر السياسي الإسلامي وفقاً لنزعة النصيّة الظاهرية، فنراه لا يفضل نُصوص العفو، ولا نُصوص الحساب والعقاب، يقول: "ومن لقي الله عز وجل وله كبيرة لم يتب منها فأكثر فالحكم في ذلك الموازنة، فمن رجحت على كبائره فإن كبائره وسيئاته كلها تسقط، وهو من أهل الجنة لا يدخل النار، وإن استوت حسناته مع كبائره وسيئاته فهؤلاء مجازون بقدر ما رجح لهم من الذنوب".² وموقف ابن حزم من هذه القضية أقرب إلى روح الفكر الإسلامي من آراء طائفة الخوارج الذين قالوا معظمهم (إلا النجدات) أن أهل الكبائر الذين يموتون علي كبائرتهم دون أن يتوبوا منها، هم كفار ومخلدون في النار. ومن آراء فرقة المعتزلة الذين قالوا بالمنزلة بين المنزلتين؛ فإن صاحب الكبيرة ليس مؤمناً مطلقاً.

¹ - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج3، ص51.

² - نقلاً عن، عبد الحليم عويس: ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، مرجع سابق، ص 259.

المبحث الثاني: ظروف عصر الإمام ابن حزم

إن فكر ابن حزم السياسي يرتبط بالحالة السياسية للأندلس عامة وقرطبة خاصة، فمن الضروري دراسة الأحوال السياسية للأندلس في عصر ابن حزم، ولا يتسنى لنا فهم أفكار ابن حزم السياسية وتبريرها إلا من خلال معرفة وفهم الملابسات السياسية التي عاشتها الأندلس في تلك الفترة.

المطلب الأول: الحالة السياسية

عاصر ابن حزم فترتين مهمتين من تاريخ الأندلس، أولهما: ضعف وانحيار الخلافة الأموية في قرطبة، وثانيهما فترة تفكك وحدة الأندلس السياسية، وانقسامها إلى دويلات صغيرة مستقلة، أطلق عليها دويلات ملوك الطوائف، لذا يعد شاهد عيان على ما انتاب الأندلس من انقلاب جذري طال مختلف جوانب الحياة، خلال مدة لم تتجاوز النصف قرن، إذ تقلبت بين مرحلتين متباينتين كل التباين. فهي في منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وحتى أواخر هذا القرن، تبلغ ذروة القوة والوحدة والتقدم، في ظل رجال عظام، أمثال عبد الرحمن الناصر (ت: 350 هـ) والحكم المستنصر (ت: 366 هـ) والحاجب المنصور (ت: 392 هـ)، ثم هي منذ أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، تنحدر إلى معترك لا مثيل له من الاضطرابات والفتن المدمرة لتخرج من غمارها أشلاء ممزقة متناحرة، كأنها لم تكن دولة واحدة.¹

وُلد ابن حزم أيام الحاجب المنصور والذي كان يحكم بمسمى الدولة الأموية - أحفاد عبد الرحمن الداخل - ولما شبَّ ابن حزم وقعت أحداث الفتنة بقرطبة والأهوال التي عانتها دولة الإسلام لفترة طويلة هناك، ورأى ابن حزم ذلك رأي العين، فتجول حيناً في ألمرية وبلنسية في كنف الفتيان العامريين - وهم موالي الحاجب المنصور - وكان مثلهم من أتباع الخلافة الأموية، وكان من وزرائهم أيضاً؛ حيث تولى وزارة لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن الناصر، الملقب بـ(المرتضي) في بلنسية، ولما هزم وقع ابن حزم في الأسر وكان ذلك في أواسط سنة 409 هجرية، ثم أطلق سراحه من الأسر، فعاد إلى قرطبة. كما تولى الوزارة لصديقه عبد الرحمن المستظهر في رمضان من سنة 412 هجرية، ولم يبق في هذا المنصب أكثر من شهر ونصف، فقد قتل المستظهر في ذي الحجة من السنة نفسها، وسجن ابن حزم ثم عفي عنه. وتولى الوزارة أيام هشام بن محمد أخا المرتضى الملقب بـ(المعتضد بالله) فيما بين سنتي (418-422) هجرية.

¹ - قادر نزار محمد: دراسات في تاريخ الفكر السياسي الإسلامي، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - السعودية، 2010، ص 67.

ثم شهد القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) نهاية عصر الخلافة في الأندلس، وتقسيم البلاد إلى دويلات وممالك فاق عددها العشرين مملكة^(*)، حكمها رؤساء عرفوا بملوك الطوائف، وأغلبهم لا دين له ولا أخلاق. ورأى ابن حزم تصرفات ملوك الطوائف ومثالبهم وبغيهم ومجونهم وانحلالهم، فهزّت هذه التقلبات مشاعره، فأطلق لقلمه العنان يؤرخ لتلك الفترة العصيبة من حياة دولة الإسلام في الأندلس، وحمل ملوك الطوائف مسؤولية إشاعة الفتنة حتى قال في (رسالة التلخيص لوجوه التخليص): "وهي فتنة سوء أهلك الأديان إلا من وقى الله تعالى من وجوه كثيرة يطول لها الخطاب. وعمدة ذلك أن كل مدبر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه أولها عن آخرها محارب لله تعالى ورسوله وساع في الأرض بفساد، والذي ترونه عياناً من شتم الغارات على أموال المسلمين من الرعية ... وإباحتهم لجندهم قطع الطريق ... ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين، مسلطون لليهود على قوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية والضريبة من أهل الإسلام، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله، غرضهم فيها استدام نفاذ أمرهم ونهيمهم"¹. وفي مثل هذه الظروف صار غالباً لا يفتي إلا من حكّم أهواء الولاة لا نُصوص الشريعة، لذلك أضاف أبو محمد محذراً الناس من مغبة اتباع هؤلاء، حيث قال: "فلا تُعَالِطُوا أَنْفُسَكُمْ، وَلَا يَعْزَّنْكُمْ الْفَسَاقُ، وَالْمُنْتَسِبُونَ إِلَى الْفَقْه، اللَّابِثُونَ جُلُود الضَّانِّ عَلَى قُلُوبِ السَّبَاعِ، الْمَزِينُونَ لِأَهْلِ الشَّرِّ شَرَّهُمْ، النَّاصِرُونَ لَهُمْ عَلَى فِسْقِهِمْ"².

(*) يطلق مصطلح عصر الطوائف في الأندلس على المدة المحصورة ما بين انتهاء عصر الخلافة الأموية حتى سقوط دويلات الطوائف، أي ما بين السنوات 422-484هـ/1031، 1092م حيث انقسمت خلال هذه المدة الأندلس إلى دويلات متعددة مراكزها المدن الأندلسية المستقلة، ومن أهم هذه الممالك والأسر التي حكمتها نذكر:

- مملكة سرقسطة، الثغر الأعلى: بنو هود.
- إمارة قرطبة، وسط الأندلس: بنو جهور.
- مملكة طليطلة، الثغر الأوسط: بنو ذي النون.
- مملكة بطليوس: الثغر الأدنى: بنو الأفضس.
- مملكة إشبيلية، غربي الأندلس: بنو عباد.
- مملكة بلنسية، شرقي الأندلس: تداولها عدد من الأسر.
- مملكة غرناطة، جنوبي الأندلس: بنو زيري.

¹ - ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج3، ص173.

² - ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج3، ص173.

لذلك ناصب ملوك الطوائف أبو محمد العداء ، وحرصوا على إبعاده عن أراضيهم، ونفيه من مكان لآخر، فلقد كانوا يخافون من آرائه النقدية وحملاته الفكرية على فضائهم وجرائمهم، وأحرقوا كتبه بمحضر عام من النَّاس، كما فعل ذلك طاغية إشبيلية المعتضد بن عباد، وحرصوا العوام عليه، ومنعوا الطلبة من الجلوس إليه. وهكذا كانت الحياة السياسية في عصر ابن حزم مليئة بالحروب والفتن التي كان لابن حزم حظ وافر منها، حيث قضى آخر عشرين سنة في حياته منفيًا في مسقط رأس أسرته في قرية منت ليشم من أعمال بلبة في غرب الأندلس، بعيدا عن السياسة ومقاطعا إيّاها ومنقطعا للتأليف والعلم.¹

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية

سكن بلاد الأندلس خليط من النَّاس من كل أجناس (عرب، صقلية، برايرة...) الأرض واستوطنوها بكل ما لديهم من عادات وتقاليد، وكثر عدد أهل الأندلس، فأدى الاحتكاك بين هذه الفئات إلى بروز شيء من الصراعات الاجتماعية، والنزاعات بين أصحاب الفرق والمذاهب على البلاد، كما كان ثمة تفاعل بما اجتماعي وفكري بين المسلمين وغير المسلمين، وأيضا عمت مظاهر الثراء والترف ساكني تلك البلاد. ومن أجمل ما وصف به الأندلسيين ما ذكره ابن غالب ابن عطية الأندلسي (ت: 541هـ) صاحب مخطوط (فرحة الأنفس في تاريخ أهل الأندلس)، الذي قال: "وأهل الأندلس عرب في الأنساب، والعزّة، والأنفة، وعلوّ المهمم، وفصاحة الألسن، وطيب النفوس، وإبائ الضيم، وقلة احتمال الذلّ، والسماحة بما في أيديهم، والنزاهة عن الخضوع وإتيان الدنيّة، هندیون في إفراط عنايتهم بالعلوم وحبّهم فيها وضبطهم لها وروايتهم، بغداديون في نظافتهم وظرفهم، ورقة أخلاقهم ونباهتهم، وذكائهم، وحسن نظرهم، وجودة قرائحهم، ولطافة أذهانهم، وحدّة أفكارهم، ونفوذ خواطرهم".² ومع ذلك فهم - فيما يذكر ابن بشكوال في كتابه: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس - اعترفوا بأن في طباعهم حدة، وفي خلقهم شكاسة، فإذا أرادوا، يصفوا لطيفا من بينهم، وادع النَّفس سمحها، قالوا هو على رقة أهل المشرق.³ وابن حزم أبرز من تظهر فيه هذه الصفة التي ألبت عليه الحكام والفقهاء.

¹ - محمد أبو زهرة: الإمام ابن حزم، ص 42.

² - محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، مؤسسة هنداوي، القاهرة - مصر 2017، ص 227

³ - محمد المنتصر بالله الحسيني: معجم فقه ابن حزم الظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1، 2009، ص 31.

وشهدت المدن الأندلسية حضوراً لافتاً وواسعاً للمرأة في الكثير من المجالس العلمية والندوات الأدبية، كما تنقل بعضهن بين المدن الأندلسية طلباً للعلم، فبرزت آنذاك المرأة عالمة ومؤثرة في الحياة العامة، عندما سمح المجتمع الأندلسي للمرأة أن تمارس عدداً من الأنشطة الاجتماعية والثقافية والدينية، وأعطاهها حرية كبيرة، مما جعلها مختلفة عن مثيلتها من النساء في الشرق. بل حتى الجوّاري أصبغ حظاً من التعليم، فنبغ عدد كبير منهن في العلوم والآداب والفنون، وكان يعهد إليهن بتربية أبناء الأمراء والأغنياء وتأديبهم. وهذا أكده - كما مر معنا - ابن حزم في طوق الحمامة. وهكذا أصبح لنساء الأندلس دوراً بارزاً في الازدهار الحضاري الذي عم الأندلس فبرز منهن حاذقات بمختلف العلوم والفنون، ولمعت أسماء نساء عديدات في كل مجالات العلم والأدب، وفي جل مدن الأندلس، ففي مدينة قرطبة برزت الشاعرة ولادة ابنة الخليفة المستكفي، التي اقترن اسمها مع الوزير أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون (ت: 463هـ)، وصفتها المصادر بأنها أديبة شاعرة، تميزت بالفصاحة، وقد كانت حسنة المحاضرة، مشكورة المذاكرة. أما في مدينة غرناطة فقد برزت الشاعرة زهون بنت القلاعي، التي كانت تباري الشعراء في أشعارهم وتضرب الأمثال.¹

وكانت قرطبة مدينة الإمام ابن حزم من أكثر بلاد الأندلس ازدحاماً، وكانت شديد الاتساع حيث شملت خمسة أحياء كبيرة اشتملت على 21 حياً يشبه كل حي بمدينة مستقلة في أسواقها وفنادقها وحماماتها وسائر صناعاتها بل وأسوارها التي تفصلها عن الأحياء الأخرى. ويعد المسجد في قرطبة مركز الحياة الاجتماعية، فقامت حوله الأسواق والحوانيت وعقدت به الاجتماعات وقرئت فيه المنشورات والأوامر النظامية، وحلت فيها كثير من المشكلات، وكثرت المساجد بقرطبة حتى بلغت 1600 مسجد وقيل 3877 مسجداً بل وقيل: إنها كانت 13879 مسجداً، ولعل هذا الاختلاف يرجع إلى ما يضاف للمساجد الكبار من الزوايا والمصليات.²

وقد أثرت هذه الحياة الاجتماعية في ابن حزم من رقة في مشاعره في حداثة سنه، ومكنته من معرفة طبائع الناس ولا سيما طبائع النساء، كما أمدته بأمور انعكست على أفكاره وآرائه.

¹ - فائزة حمزة عباس: صور من إسهامات المرأة الأندلسية في الحياة الثقافية في عصر الطوائف، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، العراق، المجلد 3، العدد 3، 2005، ص 164، 165.

² - ابن حزم الأندلسي.. السيرة الكاملة، <https://www.albawaba.com> (زيارة الموقع: 07/07/2022 الساعة: 9.00).

المطلب الثالث: الحالة الثقافية العلمية

على الرغم من تدهور الحالة السياسية بالأندلس عصر ابن حزم إلا أن الحالة الثقافية لم تضعف، بل ثمة عوامل أثرت في ازدهارها منها مظاهر الصراع السياسي بين المسلمين والنصارى والصراعات المذهبية التي أدت إلى ترقى في العلوم والآداب والفنون والصناعات حيث إنَّها من مظاهر القوة التي يعلو بها كل قرين على قرينه كما ظهر علماء أجلاء ومحدثون عظماء أمثال أبي عمر بن عبد البر رفيق ابن حزم وأبي الوليد الباجي ختن المالكي. وقد كانت قرطبة حاضرة الغرب الإسلامي كما كانت بغداد حاضرة الشرق، لقد كانت مركزاً مهماً للتقدم العلمي والفني، وملتقى الشعراء والأدباء والفقهاء والمتكلمين وعلماء الحديث كما كانت في الوقت نفسه أكثر بلاد الأندلس كتباً وأحفلاً بالخزائن والمكتبات.

ولئن شهدت الأندلس في مجال الفقه شبه سيطرة مطلقة للفقه المالكي، فإن الحركة الفقهية عرفت أيضاً في هذا العصر اتجاهات مذهبية أخرى غير المذهب المالكي، كالمذهب الشافعي والمذهب الظاهري. كما كان لعلماء الأندلس اهتمام شديد باللُّغة والنحو، وإن اقتصر على الاهتمام بكتب المشاركة، وقد أدخل ثابت بن عبد العزيز السرقسطي (في أواخر القرن الثالث) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 181هـ) إلى الأندلس، كما ألف أبو بكر الزبيدي (ت: 286هـ) مختصراً لكتاب العين، ثم اردفه بكتاب الاستدراك على كتاب العين نفسه. كما تأثر اتساع النشاط العلمي في ميداني الرياضيات والطبيعات في الأندلس بالنشاط العلمي في المشرق، عدا الطب الذي اعتبر في بلاطات الأندلس من أرفع العلوم اليونانية شأنًا وأسماءها مقامًا، ومن أشهر العلماء فيه أبو حفص الزهراوي (ت: 212هـ) والواقع أن الأندلس عرفت الطب في عهد عبد الرحمان الثالث عندما أمر بترجمة نظريات "ديسقوريدس" في كتاب الأدوية المفردة على أساس نسخة يونانية أرسلت إليه من القسطنطينية. أما التفكير الفلسفي في الأندلس فقد بدأ مع احتكاك الأندلسيين بالمغاربة الذين تأثروا بدورهم أثناء رحلاتهم إلى المشرق بأهل الرأي الفلسفي وأهل الاعتزال هناك؛ وأول الذين اتجهوا إليها فلسفياً في الأندلس تحت هذا التأثير هو محمد بن مسرّة (ت: 216هـ) الذي درس بعضاً من الفلسفة اليونانية ومال إلى الاعتزال وإلى التأويل الباطن في الدين، وقد بثّ بذور فكره هذا في الأندلس وأثار اهتمام الأندلسيين بالمسائل الفلسفية الجدلية.¹

¹ - آسية وعيل: فلسفة التربية في فكر ابن حزم، مرجع سابق، ص 17، 19.

وقد خصص ابن حزم (رسالة فضل علماء الأندلس) للكلام على البيئة العلمية في عصره وبين فيها مدى إسهام الأندلس ورجالها في بناء الحضارة الإسلامية بها، وقال عن قرطبة: "كان أهلها من التمكن في علوم القراءات والروايات أو حفظ كثير من الفقه والبصر والنحو، والشعر، واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم بمكان رحب الفناء، واسع الفطن متناهي الأقطار فسيح المجال".¹ فكانت الأندلس وفي القلب منها قرطبة حاضنة العلم والعلماء، وأن ابن حزم وجد فيها التربة الخصبة والمكان الرحب الواسع الثراء بالعلوم والآداب فنهل من كل علم وتذوق كل فن فجاء بثقافة واسعة وحمل علومها نافعة.

¹ - ابن حزم: رسائل ابن حزم، ج2، مرجع سابق، ص174، 175.

الفصل الثاني

إشكالية الإمامة من منظور الفرق الكلامية

المبحث الأول: تعريف الإمامة وشروط انعقادها

المطلب الأول: تعريف الإمامة

المطلب الثاني: شروط انعقاد الإمامة

المبحث الثاني: آراء الفرق الكلامية بشأن الإمامة

المطلب الأول: ماهية الإمامة عند الشيعة

المطلب الثاني: ماهية الإمامة عند الخوارج

المطلب الثالث: ماهية الإمامة عند المعتزلة

المبحث الأول: ماهية الإمامة

أولاً: تعريف الإمامة

1- الإمامة لغة

عرفها الفيروز أبادي في قوله: «أمه: قصده، كآتمه، وamme ويمنع وتيممه... والإمامة والأمان بالإمام»¹. وعرفها ابن منظور في قاموسه: "وَأَمَّ الْقَوْمَ وَأَمَّ بِهِمْ: تَقَدَّمَ بِهِمْ، وَهِيَ الْإِمَامَةُ. وَالْإِمَامُ: كُلُّ مَنْ اتَّخَذَ بِهِ قَوْمٌ كَانُوا عَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ أَوْ كَانُوا ضَالِّينَ وَرَأْسُ الْقَوْمِ: أَمَّهُمْ. وَالْإِمَامُ مَا اتَّخَذَ بِهِ مِنْ رَأْسٍ وَغَيْرِهِ، وَالْجَمْعُ أَيْمَةٌ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَعْنَى قَوْلِهِمْ يَوْمَ الْقَوْمِ أَي تَقَدَّمْتُمْ، أُخِذَ مِنَ الْأَمَامِ. يُقَالُ: فُلَانٌ إِمَامٌ الْقَوْمِ؛ مَعْنَاهُ هُوَ الْمُتَقَدِّمُ لَهُمْ، وَيَكُونُ الْإِمَامُ رَأْسًا كَقَوْلِكَ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ"². وعرفها الزبيدي في قاموسه في قوله: "والدليل إمام السفر، والهادي: إمام الإبل، وإن كان وراءها لأنه الهادي لها"³.

وخلاصة هذه التعريفات المتقاربة أن كلمة إمام تفيد معاني كثيرة منها: القصد، التقدم الهداية، القيادة، والرئاسة الإمام هو الذي يتقدم القوم، فيأتمون به، ويتخذونه مثلاً يقتدون به فيكون هادياً لهم إلى الطريق، فهو إذاً رئيس القوم وقائدهم. والجدير بالذكر أن الإمامة قد وردت في القرآن في مواضع عديدة بلفظ إمام وأئمة، وأخذت معان متعددة كذلك، وهذه بعضها:

- **المعنى الأول:** اللوح المحفوظ، كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾. سورة يس. الآية: 12
- **المعنى الثاني:** الكتاب السماوي، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾. سورة هود. الآية: 17.

¹ - الفيروز ابادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، لبنان، 2005، ص1076.

² - ابن منظور: لسان العرب، ج1، دار الابحاث، ط1، الجزائر، 2008، ص197. ص200.

³ - الزبيدي محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، ج8، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، (د.ت)، ص193.

- **المعنى الثالث:** الطريق الواضح، كما في قوله تعالى بشأن قومي لوط وشعيب:
(﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين، فانتقمنا منهم وإنتقمنا منهم وإنتقمنا منهم﴾. سورة الحجر. الآية:
78-79.

- **المعنى الرابع:** قادة الهداية، كما في قوله تعالى بشأن إسحاق ويعقوب عليهما السلام
(﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾. سورة الأنبياء. الآية 73.
- **المعنى الخامس:** قادة الضلال، كما في قوله تعالى بشأن فرعون ومن معه: (﴿وجعلناهم
أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون﴾.. وقوله تعالى: (﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾. سورة
القصص. الآية 41. سورة التوبة. الآية: 12. وفي قوله تعالى: (﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم
فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلًا، ومن كان في هذه أعمى فهو في
الآخرة أعمى وأضل سبيلًا﴾. سورة الاسراء. الآية: 71-72. دلالة على أن لكل قوم إماما
يدعون به يوم القيامة، وهو إما أن يكون إمام هداية، أو إمام ضلال.

2- الإمامة اصطلاحاً

الإمامة في الاصطلاح تطلق على معنيين اثنين: الإمامة الصغرى هي إمامة الصلاة، والإمامة
الكبرى وهي إمامة التدبير، وهي الخلافة أو الإمارة، أو الملك أو رئاسة الدولة. وعرفها
"الماوردي" (*) في قوله: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في دراسة الدين وسياسة الدنيا وعقدتها بمن
يقم بهما في الأمة واجب" ¹. أي أنه ربط الإمامة بموضوعين مهين ديني ودينيوي يكملان بعضهما
البعض. أما ابن خلدون (*) فهو لا يختلف عن رأي "الماوردي" فهو يرى أن الإمامة والخلافة نظام
يحافظ على مصالح الرعية في الدنيا في ظل الشرع والدين أي أنه يحافظ على الأوامر الدينية مع

(*) **الماوردي:** هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (364-450 هـ / 974-1058 م) صاحب التصانيف الكثيرة،

الفقيه الحافظ، من أكبر فقهاء الشافعية. من أهم مؤلفاته: أدب الدنيا والدين، الأحكام السلطانية

¹ - أبو الحسن الماوردي: **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2006، ص3.

(*) **ابن خلدون:** هو أبو يزيد عبد الرحمن بن خلدون، ولد سنة 1332م، وهو أندلسي الأصل تونسي المولد. عاش في أسرة ذات ثقافة
دينية عالية، ومكانة سياسية بارزة في المغرب الإسلامي، فأسرته كان لها أثر كبير في نشأته. عاش في القرن الرابع عشر الميلادي، حيث
الأزمات السياسية والاقتصادية التي عصفت بشمال أفريقيا بخاصة، وبلاد المسلمين بعامّة، وكان قاضيًا من قضاة المالكية، وترك كتابات في
التاريخ والاجتماع، أبرزها "التعريف برحلة ابن خلدون"، و"المقدمة" التي تُعدُّ أهم ما كتب؛ وقد تضمّنت فلسفة حياة الإنسان كاملة.
وبذلك استطاع أن ينال لقب أبو التاريخ وأبو علم الاجتماع البشري معًا،

الأحكام المصلحية للمجتمع حيث يقول ابن خلدون: "وإذ قد بيّنا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين، وسياسة الدنيا به تسمّى خلافة وإمامة، والقائم به خليفة وإماماً"¹. ويعرّفها الإيجي (*) بأنها: "خلافة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في إمامة الدين"². ويذهب إمام الحرمین الجويني (*) إلى أنّ الإمامة "رياسة تامة، وزعامة تتعلّق بالخاصة والعامّة في مهمّات الدين والدنيا"³.

ويفهم من هذه التعاريفات أنّ الخلافة أو الإمامة تشمل السلطتين الدينية والدنيوية، فالخليفة حاكم سياسي وديني في الوقت نفسه، ولكن تقتصر وظيفته الدينية في المحافظة على الشؤون الدينية المقررة في الإسلام.

¹ - عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة العلامة ابن خلدون، ص

(*) الإيجي: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي الشيرازي الشافعي، أبو الفضل (نحو 756 - 680هـ / 1281 - 1355م). لقب بـ«الإيجي» نسبة إلى مسقط رأسه منطقة «إيج» ببلاد فارس. وهو قاضٍ ومتكلم وفقهه ولغوي .. وصف المؤرخون عضد الدين الإيجي بأوصاف عديدة منها: قاضي قضاة الشرق، وشيخ العلماء، وشيخ الشافعية. تتلمذ على يديه كثير من التلاميذ منهم شمس الدين الكرمانى وسعد الدين التفتازاني وسعد الدين بن عمر بن عبد الله. ألّف الإيجي مصنفات ومؤلفات كثيرة، أهمها كتاب «المواقف في علم الكلام»، والذي اعتنى به العلماء عناية بالغة، وظل مرجعاً رئيساً في تدريس علم الكلام. ومن مؤلفاته الأخرى: جواهر الكلام، وهو مختصر لكتابه «المواقف»، الكواشف في شرح المواقف، عيون الجواهر، الفوائد الغياثية في المعاني والبيان، إشراق التواريخ، بحجة التوحيد، تحقيق التفسير في تكثير التنوير في تفسير القرآن، زبدة التاريخ في ترجمة إشراق التواريخ.

² - عضد الدين الإيجي: المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت - لبنان، (د.ت)، ص 395.

(*) إمام الحرمین الجويني: هو أبو المعالي عبد الملك ابن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية الطائي السنسي (419هـ - 478هـ / 1028 - 1185م). وينتسب الجويني إلى جوين وهي من قرى نيسابور. أما ألقابه فأشهرها الفقيه الشافعي الملقب بضياء الدين المعروف بإمام الحرمین وقد أطلق عليه لقب إمام الحرمین لمجاورته وتدريسه في الحرمین الشريفين إذ خرج إلى الحجاز، وجاور بمكة والمدينة أربع سنين يدرس ويفتي. ترك العديد من المؤلفات منها ما يتعلق بأصول الفقه (التلخيص، والبرهان، والغنية، التحفة، والورقات)، ومنها في علم الفقه (نهاية المطلب في دراية المذهب، ومختصر التقريب، ومختصر النهاية)، ومنها ما يتعلق بالسياسة الشرعية (غياث الأمم في التياث الظلم أو المعروف كذلك باسم: الغياثي). ومنها ما يخص علم الكلام: ك(الشامل في أصول الدين، والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ولمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة)

³ - أبو المعالي الجويني: غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق مصطفى حلمي، دار الدعوة، الإسكندرية - مصر، ط1، 1400هـ، ص 15.

ثانيا: شروط الإمامة وطرق انعقادها

1- شروط الإمامة:

وضعت شروط صحة الإمامة وجب توفرها فإذا نقص شرط من الشروط وإذا لم تكن متوفرة من البداية كان العقد غير صالح والولاية باطلة. وقد اختلف مفكرو الإسلام في تعداد هذه الشروط، فذكر الماوردي سبعة شروط لصحة الإمامة:

أحدها: العَدَالَةُ عَلَى شُرُوطِهَا الْجَامِعَةِ.

الثاني: الْعِلْمُ الْمُؤَدِّي إِلَى الْإِجْتِهَادِ فِي التَّوَازِلِ وَالْأَحْكَامِ.

الثالث: سَلَامَةُ الْحَوَاسِّ مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَاللِّسَانِ؛ لِيَصِحَّ مَعَهَا مُبَاشَرَةُ مَا يُدْرِكُ بِهَا.

الرابع: سَلَامَةُ الْأَعْضَاءِ مِنْ نَقْصٍ يَمْنَعُ عَنِ اسْتِيفَاءِ الْحَرَكَةِ وَسُرْعَةِ التَّهْوُضِ.

الخامس: الرَّأْيُ الْمُفْضِي إِلَى سِيَاسَةِ الرَّعِيَّةِ وَتَدْيِيرِ الْمَصَالِحِ.

السادس: الشَّجَاعَةُ وَالتَّجَدُّهُ الْمُؤَدِّيُّ إِلَى حِمَايَةِ الْبَيْضَةِ وَجِهَادِ الْعَدُوِّ.

السابع: النَّسَبُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مِنْ قُرَيْشٍ؛ لِيُؤَرِّدَ النَّصَّ فِيهِ وَأَنْعِقَادِ الْإِجْمَاعِ عَلَيْهِ، وَلَا اعْتِبَارَ بِضِرَارِ حِينَ شَدَّ فَجَوَزَهَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اخْتَجَّ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ عَلَى الْأَنْصَارِ فِي دَفْعِهِمْ عَنِ الْخِلَافَةِ لَمَّا بَايَعُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ عَلَيْهَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْأَيْمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ» فَأَقْلَعُوا عَنْ التَّفَرُّدِ بِهَا وَرَجَعُوا عَنِ الْمُشَارَكَةِ فِيهَا حِينَ قَالُوا: مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، تَسْلِيمًا لِرِوَايَتِهِ وَتَصْدِيقًا لِحَبْرِهِ وَرَضُوا بِقَوْلِهِ: نَحْنُ الْأَمْرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَدِّمُوا قُرَيْشًا وَلَا تَقَدِّمُوها». وَلَيْسَ مَعَ هَذَا النَّصِّ الْمُسَلَّمِ شُبْهَةٌ لِمُنَازَعِ فِيهِ، وَلَا قَوْلٌ لِمُخَالَفِ لَهُ.¹

وتوسع أبو حامد الغزالي في شروط الإمامة، وجعلها في كتابه "فضائح الباطنية وفضائل

المستظهرية" عشرة: ست منها خلقية، وأربع مكتسبة أما الست الخلقية فهي: البلوغ، العقل،

¹ - الماوردي: الأحكام السلطانية، مرجع سابق، ص5.

الحرية، الذكورية، النسب القرشي، سلامة حاسة السمع والبصر. وأما عن الصفات الأربع المكتسبة فهي: النجدة، الكفاية، الورع، والعلم¹.

وفي حين ذهب البعض الآخر إلى تفصيل هذه الشروط وغيرها على حسب الفرق فكل فرقة كلامية لها شروطها الخاصة بالخلافة. وهذا ما سنتوقف عنده لاحقاً.

2- طرق انعقاد الإمامة

الإمامة موضوع مهم وخطير وقد تعددت أشكال تولي الخلفاء الراشدين وبعدهم معاوية بن أبي سفيان للحكم الإسلامي، مما دعا العلماء المسلمين إلى الاختلاف النظري حول الطريق الأمثل لتنصيب الإمام، فانعقاد الإمامة يتم بإحدى الطرق التالية:

الطريقة الأولى: ولاية العهد

وهي أن يعهد الإمام قبل موته إلى إنسان يختاره أن يكون إماماً للمسلمين بعد موته، ويفعل ذلك في صحته أو في مرضه أو عند موته. إذ لا يوجد نص أو إجماع على منع هذه الطريقة. حيث يرى ابن حزم الأندلسي أن هذه الطريقة هي أول الطرق وأفضلها وأصحها، ويستشهد على صحة هذه الطريقة بما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بتولية العهد إلى أبي بكر، وما فعله أبي بكر بتولية العهد إلى عمر بن الخطاب، وما فعله سليمان بن عبد الملك بتولية العهد إلى عمر بن عبد العزيز. وهذه الطريقة تعتبر الطريقة الأمثل في نظر ابن حزم²، ويعلل اختياره لهذه الطريقة وتفضيلها على سائر الطرق الأخرى لما فيها "من اتصال الإمامة، وانتظام أمر الإسلام وأهله ورفع الاختلاف والشغف مما يتوقع في غيره، من بقاء الأمة، والفوضى، من ارتفاع النفوس وحدوث الأطماع"³، فابن حزم لا يفضل طريق أخرى على طريقة العهد على عكس بعض العلماء الذين

¹ - وسام عبدو اللحام: الخلافة - بحث في مؤسسة الإمامة لدى السنة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2009، ص32

² - نجاح محسن: الاتجاه السياسي عند ابن حزم الأندلسي، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، ص67

³ - الماوردى: الاحكام السلطانية، مرجع سابق، ص7.

يعتبرون العهد طريقاً تالياً طريق اختيار أهل الحل والعقد حيث يقول الماوردي " الإمامة تنعقد من وجهين: أحدهما باختيار أهل الحل والعقد والثاني بعقد الإمام من قبل"¹

الطريقة الثانية: الدعوة إلى النفس

بعد طريقة تولية العهد، توجد طريقة ثانية من طرق عقد الإمامة، وهي طريقة الدعوة إلى النفس، وهذه الطريقة تعني إن مات الإمام ولم يول أحداً بعده، فيمكن أن يتقدم رجل يجد في نفسه أنه يستحق الإمامة، ويستطيع تولي أمر المسلمين، فيدعو إلى نفسه، وفي هذه الحالة لا يجب أن ينافس أحد على هذا المنصب لأنه هو السابق له، ويجب على المسلمين حينئذ اتباعه والانقياد له ومبايعته، كما يجب طاعته.²

وخير دليل على صحة هذه الطريقة ما فعله بعض الصحابة، كفعل علي بن أبي طالب عند مقتل عثمان، وكما فعل ابن الزبير، وما فعله خالد بن الوليد عندما قتل أمراء جيش مؤتة الثلاثة: زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب و عبدالله بن رواحة. فأخذ خالد الراية و تولى قيادة الجيش، ولما وصل هذا الفعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وافق عليه، كما ساعد جميع المسلمين خالد بن الوليد على هذا الفعل.

كما تجوز إمامة من يدعو لنفسه عند شيوع المنكر، فتلزم موافقته على البر والتقوى ولا يجوز التأخر عنه، فقد قال الله تعالى: «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان» [سورة المائدة: الآية 2] وخير دليل على طريقة الدعوة إلى النفس عند شيوع المنكر ما فعله زيد بن الوليد و محمد بن هارون المهدي.

وإذا قاما اثنين يدعوان لأنفسهما في وقت واحد، في هذه الحالة الحكم لن يكون لمن ينال عدداً أكبر و تأييداً من جمهور أكبر، فالحكم هنا يكون للزمن، فمن سبق بدعوته و لو بطرفة

¹ - نجاح محسن: الاتجاه السياسي عند ابن حزم الأندلسي، مرجع سابق، ص 67.

² - ابن حزم: الفصل، مصدر سابق، ص 17.

عين قدم وكان الثاني باغيا حتى و لو كان أفضل من الأول ، و ذلك استنادا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "فوا بيعة الأول فالأول فمن جاء ينازعه فاضربوا. عنقه كائنا من كان"¹.

الطريقة الثالثة : العهد إلى رجل ثقة لاختيار الإمام الجديد:

أما هذه الطريقة فهي تعني أن يكلف الإمام عند وفاته رجلا ثقة أو أكثر من واحد لاختيار خليفة للمسلمين ، والدليل على ذلك ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند موته. وهذه الطريقة قد أجمع عليها الصحابة ، و إجماع الصحابة رضي الله عنهم حجة لا يجب الاعتراض عليها ، بل يجب الأخذ بها ، حيث يقول ابن حزم الأندلسي : "وليس عندنا في هذا الوجه إلا التسليم لما أجمع عليه المسلمين حينئذ"²

حيث يريد ابن حزم أنه لا يجوز التردد في اختيار الإمام أكثر من ثلاث ليال ، و الزيادة على تلك باطل لا يحل ، استنادا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : "من بات ليلة ليس في عنقه بيعة مات ميتة الجاهلية" و أيضا أجمع المسلمين على ذلك ولم يجمعوا على أكثر من هذه المدة³.

¹ - نجاح محسن: الاتجاه السياسي عند ابن حزم الأندلسي، مرجع سابق، ص 69.

² - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مصدر سابق، ص 17.

³ - نجاح محسن: الاتجاه السياسي عند ابن حزم الأندلسي، مرجع سابق، ص 27.

المبحث الثاني: آراء الفرق الكلامية بشأن الإمامة

المطلب الأول: ماهية الإمامة عند الشيعة

الشيعة لغة: ورد في القاموس المحيط شيعة الرجل أتباعه وأنصاره، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته، حتى صار اسماً خاصاً لهم¹. فالشيعة والمشايعة في اللغة تدور حول المتابعة والمناصرة، والموافقة بالرأي، ثم غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته.

الشيعة اصطلاحاً: بالعودة إلى أقوال وآراء العلماء حول معنى الشيعة أو التشيع يتبين أنها تطلق على من شايع الإمام علي رضي الله عنه، وقدمه في الإمامة على غيره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن ذلك ما ورد في قول أبو الحسن الأشعري: "وإنما قيل لهم الشيعة؛ لأنهم شايعوا علياً رضوان الله عليه، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"².

وعرفهم الإمام الشهرستاني بقوله: "هم الذين شايعوا علياً عليه السلام على الخصوص، فقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصيةً إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم من غيره أو بتقية من عنده"³.

وغير بعيد عن هذين التعريفين، عرفهم أبو زهرة في قوله: "هم القائلون بأن إمامة علي رضي الله عنه ثبتت بالنص عليه بالذات من النبي صلى الله عليه وسلم نصاً ظاهراً، وبقيناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة بالعين".

والإمامة عند الشيعة ليست قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسول عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله. ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيب، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر. والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك.

¹ - الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج3، ص47.

² - عبد الرحمن بدوي: مقالات الإسلاميين، ج1، ص65.

³ - الشهرستاني: الملل والنحل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 2005، ص118.

والغالب الأعم أن الشيعة هم خمس فرق: الكيسانية، والزيدية، والإمامية، وغلاة الشيعة، والإسماعيلية وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال، وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيه:

1- الكيسانية: أصحاب كيسان، مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وقيل: تلميذ للسيد محمد بن الحنفية رضي الله عنه. ويعتقدون فيه اعتقادا فوق حده ودرجته، من إحاطته بالعلوم كلها، واقتباسه من السيدين الأسرار بجملتها من علم التأويل والباطن، وعلم الآفاق، والأنفس أ- المختاري أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي كان خارجيا ثم صار زيريا ثم صار شيعيا وكيسانيا، قال بإمامة محمد بن الحنفية بعد أمير المؤمنين علي رضي الله عنهما. وقيل لا، بل بعد الحسن والحسين رضي الله عنهما، وكان يدعو الناس إليه وكان يظهر أنه من رجاله ودعاته، ويذكر علوما مزخرفة بترهاته ينوطها به .ب- الهاشمية أتباع أبي هاشم بن محمد بن الحنفية إلى رحمة الله ورضوانه، وانتقال الإمامة منه إلى ابنه أبي هاشم. وقالوا: فإنه أفضى إليه اسرار العلوم واطلعه على مناهج تطبيق الآفاق على الأنفس، وتقدير التنزيل على التأويل وتصوير الظاهر على الباطن، قالوا: إن لكل ظاهر باطن، ولكل شخص روحا ولكل تنزيل تأويلا، ولكل مثال في هذا العالم حقيقة في ذلك العالم، والمنتشر في الآفاق من الحكم والأسرار يجتمع في الشخص الإنساني، وهو العلم الذي استأثر علي رضي الله عنه به ابنه محمد بن الحنفية، وهو أفضى ذلك السر إلى ابنه أبي هاشم، وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الإمام حقا.

2- الزيدية: هم اتباع زيد بن علي بن الحسين علي بن ابي طالب رضي الله عنهم، ساقوا الإمامة في أولاده فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة، وأن يكون إماما واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن، أو من اولاد الحسين رضي الله عنهما. وعن هذا جوز قوم منهم إمامة محمد وإبراهيم الإمامين ابني عبدالله بن الحسين رضي الله عنهما. وعن هذا جوز قوم منهم إمامة محمد وإبراهيم الإمامين ابني عبدالله بن الحسن بن الحسين اللذين خرجا في أيام المنصور وقتلا على ذلك وجوزوا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال، ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة.¹

¹ - الشهرستاني: الملل والنحل، مرجع سابق، ص 118. 124.

3- الإمامية: هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي عليه السلام، نصبا ظاهرا وتعيينا صادقا وهذه الطائفة التي تحمل اسم "الشيعة الإمامية" يدخل في عمومها أكبر مذاهب الشيعة القائمة الآن في العالم الإسلامي في إيران والعراق وما وراءها من باكستان وغيرها، وغيرها من البلاد الإسلامية، ويدخل في عمومها طوائف لم تنحرف اعتقادها إلى درجة أن تخالف نصا من نصوص القرآن الكريم أو أي أمر علم من الدين بالضرورة، وطوائف أخرى أخفت اعتقادها، وأعمالها لا تدخل في الإسلام على انحراف شديد.¹

4- الغالية: هؤلاء هم الذين عملوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، فرموا شبهوا واحدا من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق. وهم على طرفي الغلو والتقصير. وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية، ومذاهب التناسخية، ومذاهب اليهود والنصارى، إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق، والنصارى شبهت الخلق بالخالق، فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة، حتى حكمت بأحكام الإلهية في حق بعض الأئمة. وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة، وإنما عادت إلى بعض أهل السنة بعد ذلك وتمكن الاعتزال فيهم لما رأوا أن ذلك أقرب إلى المعقول، وابتعد من التشبيه والحلول.

5- الإسماعيلية: ذكرنا أن الإسماعيلية امتازت عن الموسوية وعن الاثني عشرية بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر، وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الأمر. وقالوا: ولم يتزوج الصادق رضي الله عنه على أمه بواحدة من النساء، ولا تسري بجارية كسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق خديجة رضي الله عنها، وكسنة علي رضي الله عنه في حق فاطمة رضي الله عنها.²

وتتلخص عقيدة الشيعة في الإمامة وفقول ما يلي:

- 1- وجوب الإمامة على الله.
- 2- وجوب النص على الإمام، ووجوب عصمته
- 3- علم الإمام إلهام من الله.
- 4- منزلة الإمام كمنزلة النبي باستثناء الوحي والكتاب.

¹ - محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، مكتبة الأسرة، القاهرة-مصر، 2013، ص، 54

² - المرجع نفسه، ص 55.

المطلب الثاني: ماهية الإمامة عند الخوارج

لغة: الخوارج جمع خارجي وخارجي اسم مشتق من الخروج وأطلق علماء اللغة كلمة الخوارج على هذه الطائفة من الناس معللين ذلك بخروجهم عن الدين أو على أمير المؤمنين علي أو لخروجهم عن الناس.¹

اصطلاحاً: اختلف العلماء في تعرف الخوارج اصطلاحاً وانقسموا إلى فريقين:

أ- فريق عرفهم تعريفاً عاماً؛ أي اعتبروا الخوارج هم من خرجوا على طاعة الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمان، حيث يقول الشهرستاني "كل من خرج عن الإمام الحق الذي أنفقت الجماعة عليه يسمى خارجاً، سواءً كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كام على بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان"². أي من خرج الإمام الحق وأعلن عصيانه يعتبر من الخوارج.

ب- وفريق خصصهم بالطائفة التي خرجت على الإمام عليّ، حيث كرهوا حكمه وخرجوا على خلافته ويقول الأشعري "والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على عليّ بن أبي طالب"³. فالخوارج فرقة ظهرت مع خوارج عليّ رضي الله عنه، ثم على كل خالف طاعة الإمام المتفق على إمامته.

والخوارج اسم أطلقه مخالفو فرقة قديمة محسوبة على الإسلام، كانوا يسمون أنفسهم "أهل الإيمان" ظهرت في السنوات الأخيرة من خلافة الصحابي عثمان بن عفان رضي الله عنه، واشتهرت بالخروج عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد معركة صفين سنة 37هـ؛ لرفضهم التحكيم بعد أن عرضوه عليه وقد عرف الخوارج على مدى تاريخهم بالمغالاة في الدين وبالتفكير والتطرف.⁴

¹ - الزبيدي: تاج العروس، ج3، دار الأبحاث، ط1، الجزائر، 2011، ص316.

² - الشهرستاني: الملل والنحل، المرجع السابق، ص92.

³ - الأشعري: مقالات الإسلاميين، تحرير محمد محي الدين، مكتبة النهضة، ط1، القاهرة - مصر، 1954، ص156.

⁴ - أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص58.

وقد اختلفوا فيما بينهم وتفرقوا في مذاهب متباينة، وذلك بسبب كثرة الاختلاف فيما بينهم، وتخيـز كل فرقة لما ارتأت وتجمعها حوله، حتى صاروا مذاهب وجماعات متباينة، وان لم تقع بينهم حروب إلا نادرا، والأمور التي كانت تميزهم كانت جزئية أحيانا، وسيتبين من بيان فرقهم الجوهرية الذي فرقهم وغير الجوهرية. وها هي ذي بعض فرقهم¹:

1- الأزارقة: وهم اتباع أبي راشد نافع بن الأزرق الذين خرجوا مع نافع من البصرة إلى الأهواز، فغلبوا عليها وعلى كورها، وما وراءها من بلدان فارس وكرمان في أيام عبدالله بن الزبير وقتلو عماله بهذه النواحي

2- النجدات: أصحاب نجدة بن عامر الحنفي، وقيل عاصم، وكان من شأنه أنه خرج من الإمامة مع عسكره يريد اللحوق بالأزارقة. فاستقبله أبو فديك وعطية بن الأسود الحنفي في الطائفة الذين خالفوا نافع بن الأزرق، فأخبروه بما أحدثه نافع من الخلاف، بتكفير القعدة عنه، وسائر الأحداث والبدع. وبايعوا نجدة وسموه أمير المؤمنين. ثم اختلفوا على نجدة فأكفره قوم منهم لأمر نعيمها عليه: منها أنه بعث ابنه مع جيش إلى أهل القطيف فقتلوا رجالهم، وسبوا نساءهم وقوموها على أنفسهم .

3- البيهسية: أصحاب أبي بيهس الهيصم بن جابر، وهو أحد بني سعد بن ضبيعة، وقد كان الحجاج طلبه أيام الوليد فهرب إلى المدينة. فطلبه بها عثمان بن حيان المزني فظفر به وحسبه، وكان يسامره إلى أن ورد كتاب الوليد بأن يقطع يديه ورجليه ثم يقتله، ففعل بيه ذلك.

4- الثعلبية: أصحاب ثعلبة بن عامر كان مع عبدالكريم، كان مع عبد الكريم بن عجرد يدا واحدة إلى أن اختلفا في أمر الاطفال فقال ثعلبة: إنا على ولايتهم صغارا وكبارا حتى نرى منهم إنكارا للحق ورضا بالجور، فتبرأت العجاردة من ثعلبة. ونقل عنه أيضا أنه قال: ليس له حكم في حال الطفولة من ولاية وعداوة، حتى يدركوا ويدعوا، فإن قبلوا فذلك، وإن نكروا فكفروا وكان يرى أخذ الزكاة من عبيدهم إذا استغنوا، وإعطاءهم منها إذا افتقروا.

5- الإباضية: أصحاب عبدالله بن إياض الذي خرج في أيام مروان بن محمد، فوجه إليه عبدالله بن محمد بن عطية فقاتله بتبالة وقيل: إن عبدالله بن يحيى الإباضي كان رفيقا له في جميع أحواله وأقواله. وقال: إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ومناكحتهم جائزة، وموارثهم حلال، وغنيمة أموالهم

¹ - الشهرستاني: الملل والنحل، المرجع السابق، ص 95، 111.

من السلاح والكرع عند الحرب حلال، وما سواه حرام، وحرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة، إلا بعد نصب القتال، وإقامة الحجّة.

الصُّفْرِيَّةُ الزُّبَيْدِيَّةُ: أصحاب زياد بن الأصفر، خالفوا الأزارقة، والنجدات، والإباضية في أمور منها: أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال، إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد، ولم يسقطوا الرجم، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار، وقالوا: التقية جائزة في القول دون عمل العمل. وقالوا: ما كان من الأعمال عليه حد واقع فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه به الحد كالزنا، والسرقه، والقذف، فيسمى زانيا، سارقا، قاذفا، لا كافرا مشركا.

وموضوع الإمامة من المواضيع المهمة الذي استحوذ على فكر الخوارج حيث يرى الخوارج وجوب الإمامة، يقول عمر فروح "وقال الخوارج الخلافة منصب دنيوي غايته إقامة الأحكام فإذا اتفق المسلمون على إقامة الأحكام لما له حاجة إلى نصب الخلافة"¹، فهذه الأخيرة منصب خطير لا بد من إقامته إذ لا يمكن أن ينعم الناس بالحياة ويسود الأمل بينهم وتنتظم الأمور إلا بحاكم يكون المرجع في تطبيق الشرع وحماية الأمة وإقامة العدل بين أفرادها، حيث يقول ابن حزم الأندلسي "اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيها أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله"² حيث يوجبون نصب الإمام والانطواء تحت رايته والقتال معه و رأؤا في صلاحها صلاحا للأمة وفي فسادها فسادا للأمة.

ويقول أحمد أمين في فجر الاسلام "وقد وضعوا نظرية وهي أن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين وإذا اختير فليس بصح أن يتنازل"³. أي أن رأيهم هذا قائم على فكرة الاختيار الحر الصحيح لأئمتهم وخلفائهم على أساس نزاهته وكفاءته.

¹ - عمر فروح: تاريخ الفكر العربي، المكتب التجاري، ط1، بيروت - لبنان، 1962، ص145.

² - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مصدر سابق، ص87.

³ - أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الغرب والكرامة، ط1، وهران - الجزائر، 2012، ص262.

أما عن شروط الإمامة فقد وضع الخوارج عدة شروط من بينها:

- 1- أن يكون شديد التمسك بالعقيدة الإسلامية مخلصاً في عبادته.
- 2- أن يكون قويا ذا عزم نافذ وتفكير ناضج.
- 3- أن لا يكون يحب المعاصي واللغو واتباع الهوى
- 4- أن يكون انتخابه برضى الجميع لا يغني بعضهم على بعض.
- 5- وأيضا كما قالوا أنه لا عبرة بالجنس أو النسب أو اللون.

يمكن أن يكون الإمام غير قرشي، أي لا يهم نسبه سواء كان قرشيا أم لا، واستدلوا بقوله تعالى «ان الله يأمركم أن تأدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتمك بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله زعما يعظكم به إن الله كان سمياً بصيراً يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» [سورة النساء، الآية 58، 59]. وفي هذا ليس تحديد لقبيلة معينة.

أما بالنسبة إلى حكم الإمامة عند الخوارج فقد انقسموا فيها إلى فريقين:

الفريق الأول: وهم عامة الخوارج. هؤلاء يوجبون نصب الإمام والانضواء تحت رايته والقتال معه ما دام على الطريق الأمثل الذي ارتأوه له.

الفريق الثاني: وهم المحكّمة والنجدات والإباضية فيما قيل عنهم. وهؤلاء يرون أنه قد يستغنى عن الإمام إذا تناصف الناس فيما بينهم وإذا احتيج إليه فمن أي جنس كان مادام كفوئاً لتولي الإمامة. ومن مبرراتهم:¹

- 1- استنادهم إلى المبدأ القائل: لا حكم إلا لله، والمعنى الحرفي لهذا المبدأ يشير صراحة إلى أنه لا ضرورة لوجود الحكومة مطلقاً.
- 2- أن الحكم ليس من اختصاص البشر بل تهيمن عليه قوة علوية.
- 3- إن الضروري هو تطبيق أحكام الشريعة، فإذا تمكن الناس من تطبيقها بأنفسهم فلا حاجة إلى نصب خليفة.

¹ - مجموعة مؤلفين: كتاب موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام الدرر السنينة - المبحث الخامس آراء الخوارج في الإمامة العظمى - المكتبة الشاملة الحديثة، (<https://al-maktaba.org>)

4- ربما ينحصر وجود الإمام في بطانة قليلة وينعزل عن الأغلبية فيكون بعيداً عن تفهم مشاكل المسلمين فلا يبقى لوجوده فائدة.

5- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشر صراحة ولا وضع شروطاً لوجود الخلفاء من بعده.

6- أن كتاب الله لم يبين حتمية وجود إمام، وإنما أبان وأمرهم شورى بينهم.

المطلب الثالث: ماهية الإمامة عند المعتزلة

الاعتزال لغة: مأخوذ من اعتزل الشيء وتعزله بمعنى تنحى عنه، ومنه تعازل القوم بمعنى تنحى بعضهم عن بعض، وكنت بمعزل عن كذا وكذا أي: كنت في موضع عزلة منه، واعتزلت القوم أي فارقتهم، وتنحيت عنهم، ومنه قوله تعالى: **وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاَعْتَزِلُونِ** [الدخان: 21]. أراد إن لم تؤمنوا بي، فلا تكونوا علي ولا معي. وعلى ذلك: فالاعتزال معناه: الانفصال والتنحي، والمعتزلة هم المنفصلون⁽¹⁾. قال أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي من أعلام القرن الثالث في كتابه "فرق الشيعة" عند البحث عن الأحداث الواقعة بعد مقتل عثمان: "فلما قُتِلَ بايع الناس علياً فسموا الجماعة، ثم افترقوا بعد ذلك وصاروا ثلاث فرق: فرقة أقامت على ولايته عليه السلام، وفرقة خالفت علياً وهم طلحة والزبير وعائشة، وفرقة اعتزلت مع سعد بن مالك وهو سعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، وأسامة بن زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فإن هؤلاء اعتزلوا عن علي عليه السلام وامتنعوا عن محاربتة والمخاربة معه بعد دخولهم في بيعته والرضى به. فسموا المعتزلة، وصاروا أسلاف المعتزلة إلى آخر الأبد، وقالوا: لا يحلّ قتال علياً ولا القتال معه"¹.

أما المعتزلة في الاصطلاح، وبحسب ما تورده أغلب المصادر والمراجع: فهو اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري. يذكر السمعي في أصل تسميتهم فيقول: المعتزلة نسبة إلى الاعتزال أي الاجتناب، والجماعة المعروفة بهذه العقيدة إنما سموا بهذا الاسم، لأن أب عثمان

¹ - ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: مجموعة من المؤلفين، دار المعارف، القاهرة، 4م، ص 2930.

عمرو بن عبيد أحدث ما أحدث من البدع واعتزل مجلس الحسن البصري وجماعة معه فسموا المعتزلة، فإن هناك من يرجع هذه الحادثة الى واصل بن عطاء، والبعض الآخر يرجعها إلى عمرو بن عبيد في اعتزال مجلس الحسن البصري.¹

في حين أن القاضي عبد الجبار يقول: لأنهم اعتزلوا قول الناس والأمة حول مرتكب الكبيرة، عندما اعلنوا وبينوا ان صاحب الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر، يعني هو ليس مؤمن ولا كافر، بل هو في منزلة بين المنزلتين.² من هذا يتضح بأن صاحب الكبائر في منزلة بين المنزلتين لا هو بمؤمن ولا بكافر.

ويحدد المقرئزي(*) في ذلك يحدد مجموعة من الأسماء للمعتزلة وهي :

أ- الحرقية: لقولهم بان الكفار لا يحرقون إلا مرة واحدة .

ب- المفننية: لقولهم بفناء الخلدين ((الجنة والنار)) .

ج- الواقفية: لقولهم بالوقوف في خلق القرآن .

د- اللفظية : لقولهم بأن ألفاظ القرآن مخلوقة .

هـ- الملتزمة : لقولهم بأن الله تعالى في كل مكان .

و- القبرية: لانكارهم عذاب القبر.

¹ أحمد محمود صبحي: في علم الكلام ج 1، المعتزلة، ص 106.

⁽²⁾ القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، تعليق ، احمد بن الحسن بن أبي هاشم ، دار التراث العربي ، بيروت، ط1، 1422هـ.

(*) المقرئزي : (766هـ-854هـ = 1365-1441م) ، أحمد بن علي بن عبد القادر ، أبو العباس الحسيني العبيدي ، تقي الدين المقرئزي : مؤرخ الديار المصرية ، أصله من بعلبك ، ونسبته الى حارة المقارزة (من حارات بعلبك في أيامه) ، ولد ونشأ ومات في القاهرة ، وولي فيها الحسبة والامامة والخطابة مرات ، واتصل بالملك الظاهر بقوق ، فدخل دمشق مع ولده الناصر سنة 810 هـ ، وعرض عليه قضاؤها فأبى ، وعاد الى مصر من تأليفه كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، (خير الدين الزركلي : الاعلام ، ج1، دار العن=م للملايين ، بيروت -لبنان ، ط15 ، ص 177.

كما نجد أيضا ما أطلقه على أنفسهم حسب رأي القاضي عبد الجبار المنازلية، وأهل التنزيه، وغيرها من الأسماء.¹ ومن الأسماء التي أطلقها المعتزلة على أنفسهم، أهل العدل وأهل التوحيد.

لقد اختلف الباحثون في وقت ظهور المعتزلة كاختلافهم في أصل تسميتهما، وأهم الأقوال: فهناك من يرى أنها ابتدأت في قوم من أصحاب علي - رضي الله عنه - لما اعتزلوا السياسة، وانصرفوا إلى العقائد، عندما نزل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية، وفي هذا يقول الملطي: "وهم سموا أنفسهم معتزلة؛ وذلك عندما بايع الحسن بن علي معاوية وسلم الأمر إليه اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس - وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي - ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة"². وقول الأكثرية من الباحثين. يرى هؤلاء أن رأس المعتزلة هو واصل بن عطاء، وقد كان ممن يحضر مجلس الحسن البصري، وذات يوم قيل أنه دخل رجل على الحسن البصري في حلقتة في مسجد البصرة، وبين له مذهب الخوارج في الكبيرة، ومذهب المرجئة، وطلب منه بيان الحكم في ذلك، ففكر الحسن، وقبل إجابته قال واصل بن عطاء: أنا أقول أن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن بإطلاق، ولا كافر بإطلاق، بل هو في منزلة بين منزلي الإيمان والكفر، فطرده الحسن واعتزل في ناحية من المسجد يقرر ما أجاب به على أصحابه.

والإمامة عند المعتزلة هي منصب نيابي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و رئاسة عامة لشخص إنساني لحفظ أمور الدين كإقامة الحدود و حل المشكلات العقديّة و غيرها من أمور الدين و لحفظ أمور الدنيا كحفظ الأموال و تحسين المعيشة و إدارة الدولة و غيره، فهو بمثابة رئيس الدولة عالم بأمور الدين (عالم دين) يرجع إليه في أمور الدين و الدنيا، هذا التعريف للإمامة متفق عليه بين أغلب المسلمين و إن لم يقبل به بعض الإمامية.

¹ - القاضي عبد الجبار: المنية والأمل، تحقيق: عصام الدين محمد علي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية - مصر، 1985، ص 4.

² - أبو القاسم البلخي وآخرون: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق، فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، تونس، ص 15.

والإمامة عندهم ليست منصب لشخص خاص معيّن من قبيل الرسول (ص) بل الله تعالى كلف العباد بأن يتشاوروا و يضعوا لهم رئيساً عليهم بعد الرسول (ص) و هذا التكليف واجبٌ كفائيّ على الأمة الإسلامية و لذلك قالوا بأن الإمامة مسألة فرعية أي أنها من فروع الدين و ليست من أصول الدين و حالها حال أي مسألة فرعية كوجوب الصلاة و وجوب الزكاة و غيرها من المسائل الفقهية إلا أنهم بحثوها في علم الكلام تبعاً للسابقين.¹ فالإمامة عندهم ليست منصب إلهي كما هو حال النبوة بل هي منصب رئاسي يمكن لأي شخص أن يصل إليه و بهذا يختلف القوم عن الإمامية في مفهوم و ماهية الإمامة فالإمامية يتمسكون بأن الإمامة هي منصب إلهي خاص لا يمكن لأي أحد أن يصل إليه إلا إذا اختاره الله تعالى كما هو الحال في النبوة مع أنهم يقولون بوجود الفرق بين منصب النبوة و منصب الإمامة.

¹ - أحمد المهدي: أبكار الأفكار، ج5، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة - مصر، 2002، ص123

الفصل الثالث

ماهية الإمامة عند ابن حزم

المبحث الأول: وجوب الامامة ووحدتها وشروط انعقادها

المطلب الأول: وجوب الإمامة

المطلب الثاني: وحدة الإمامة

المطلب الثالث: شروط الإمامة وطرق انعقادها

المبحث الثاني: واجبات الإمام وحقوقه وموجبات عزله

المطلب الأول: واجبات الإمام وحقوقه

المطلب الثاني: موجبات عزل الإمام

المبحث الأول: وجوب الامامة ووحدتها وشروط انعقادها

المطلب الأول: وجوب الإمامة

الإمامة عند أبي محمد لا تُورث لأنها خلافة نَبوية، فكل من استوفى شروطها هو أهل لها "فلا يجوز التوارث في الإمامة لأنه لم يوجب ذلك نص قرآن ولا سنة ولا إجماع ولا دليل"¹. ولهذا أنكر على الطوائف التي تقول بتوريث الإمامة، خاصة الرفضية وطوائف أخرى "وعمدة هذه الطوائف كلها في الاحتجاج أحاديث موضوعة مكذوبة لا يعجز عن توليد مثلها من لا دين له، ولا حياء"².

وحول قضية وجوب الإمامة نجد رأيين مختلفين، الرأي الأول: يرى بوجوب الإمامة ووجوب نصب أمام، سواءً كان ذلك في حال الأمن والاستقرار أم في حال الفتن والاضطرابات، وهذا هو رأي أهل السنة وجميع الشيعة. أما الرأي الثاني: يرى بعدم وجوب نصب الإمام وان السلطة غير ضرورية وأن الواجب أن يتناصف الناس فيما بينهم على تعاطي الحق، وهذا هو رأي النجدات من الخوارج، وأيضا هناك قلة من المعتزلة ذهبت إلى عدم وجوب إقامة الإمام.³

وأمام هذا الاختلاف في الآراء يقرر ابن حزم أن الإمامة فرض لازم، ولا يمكن قيام الأحكام إلا بإمام وإلا عمت الفوضى حيث يقول "وهذا مشاهد في البلاد التي لا رئيس لها، فإنه لا يقام هناك حكم حق ولا حد، حتى قد ذهب الدين في أكثرها"⁴. انطلق ابن حزم لتبرير هذا الرأي من فكرة أن الإنسان اجتماعي بطبعه وأن صلاح الفرد متوقف على صلاح المجتمع وكذلك العكس، فمن المستحيل أن يبقى الإنسان في

¹ - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج3، دار الكتب العلمية، ط1، ص83.

² - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج3، مصدر سابق، ص12.

³ - نجاح محسن: الاتجاه السياسي عند ابن حزم الأندلسي، مرجع سابق، ص29.

⁴ - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج4، مصدر سابق، ص87.

هذا العالم دون معاونة لنوعه على مصلحته كما أن الله تعالى قد حث عباده على التعاون على البر والتقوى، فأى عمل لإنسان فيه مصلحة لدينه ولدنياه، فهو بر وتقوى إذا استعان فيه بأوامر الله؛ وهنا ابن حزم يؤكد على ضرورة التعاون بين أفراد المجتمع، وإذا كان الاجتماع ضروريا وحتميا فإن التناقضات وتعارض المصالح أمور واردة وحتمية، وبهذا يكون من الضروري وجود سلطة عليا لإقامة التوازن والإصلاح بين هذه التناقضات.¹

حيث يرى أن الإمامة فرض لازم وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل فيها أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة، ولا يجوز للأمة أن تتردد في اختيار إمام أكثر من ثلاث ليال ومن بات ليلة وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية.²

وقد استدلل ابن حزم لتبرير هذا الرأي من القرآن الكريم حيث يقول تعالى «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم». [سورة النساء: الآية 59]

أما من السنة النبوية فهناك أحاديث كثيرة تدل على وجوب الإمامة، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " لا يحل لمسلم أن يبيت ليلتين ليس في عنقه لإمام بيعة". (صحيح مسلم).

إضافة إلى الأدلة الشرعية يبرر ابن حزم رأيه بأن قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الأحكام عليهم في الأموال والجنايات والدماء والنكاح والطلاق... ومنع الظالم وإنصاف المظلوم وأخذ القصاص... على تباعد أفكارهم وشواغلهم واختلاف آرائهم... غير ممكن إلا بالإسناد إلى واحد.³

¹ - نجاح محسن: الاتجاه السياسي عند ابن حزم الأندلسي، مرجع سابق، ص 31.

² - عبد الحليم عويس: الفكر السياسي بين الغزالي وابن حزم، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، 2010، ص 66.

³ - المرجع نفسه، ص 67.

المطلب الثاني: وحدة الإمامة

تمسك ابن حزم بمبدأ وحدة الإمامة، فالمسلمون أمة واحدة والشريعة واحدة، فيجب أن يكون للأمة إمام واحد، لذلك لم يجوز مبدأ تعدد الأئمة على صعيد الواقع السياسي، لأن ذلك من شأنه إثارة التنازع بينهما، إذ لا يمكن أن تتم الأمور «بالإسناد إلى واحد فاضل حسن السياسة قوي على الإنفاذ... فالظلم والإهمال معه أقل منه مع الاثنين فصاعدا»، ولذلك «لا يجوز كون إمامين في وقت واحد في العالم، ولا يجوز إلا إمام واحد».¹

وكعادته يرد ابن حزم على حجج القائلين بجواز قيام أكثر من إمام في وقت واحد، فمن يحتج بقول الأنصار يوم السقيفة «منا أمير ومنكم أمير» لا حجة له، لأن قول الأنصار كان خطأ إذ أدهم الاجتهاد، وهذا ما يؤيده الشرع، إذ قال تعالى: «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم»، فحرم الله عز وجل التفرق والتنازع، وإذا كان إمامان، فقد حصل التفرق المحرم، فوجد التنازع ووقعت المعصية لله، وعليه قال الرسول «إذا بويع لإمامين فاقتلوا الآخر»، فضلاً عن أن قول الأنصار، حسب ما ذهب ابن حزم، يعني بالتوالي والتعاقب وليس في وقت واحد.²

فقد تمسك ابن حزم بمبدأ وحدة الإمامة، لأنها مظهراً من مظاهر توحيد المسلمين، والحفاظ على وحدة المجتمع الإسلامي، وفي ظروف الفتنة الطاحنة التي شهدتها الأندلس، التي كان من آثارها أن تفككت وحدتهم وتصدعت قوتهم وأهدرت قيمهم، يصبح متطلب وحدة الأمة أكثر إلحاحاً، لأن التشتت يتخذ أبعاداً أكثر خطورة، يحتل فيها البعد الحضاري الديني مركز الأولوية، فالأزمة السياسية في الأندلس، تعني بداية اقتراب سقوط حضارة بكاملها على يد عدو يتحين الفرص.

¹ - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مصدر سابق، ص 87.

² - المصدر نفسه، ص 88.

وقد استند ابن حزم لإثبات ضرورة وحدة الإمامة على أدلة شرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية؛ حيث يقول الله عز وجل ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا﴾. [سورة آل عمران، الآية 105] وقال الله عز وجل أيضا ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾. [سورة الأنفال، الآية 46].

كما استند على بعض الأدلة العقلية ومثال ذلك: لو جاز أن يكون في العالم إمامان لجاز أن يكون ثلاثة وأربعة أو أكثر، وأن منع من ذلك مانع كان متحكما بلا برهان، مدعيا بلا دليل.¹

المطلب الثالث: شروط الإمامة وطرق انعقادها

وضع ابن حزم جملة من الشروط لتنصيب الإمام؛ حيث يشترط في الإمام أن يكون قرشيا "بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن "الأئمة من قريش" وعلى أن الإمامة في قريش وهذه رواية جاءت مجيء التواتر²، فلا يحل لغير قريش ولو كان حليفا لهم، ولا تحل لمولى لهم ولا لمن ليس أبوه منهم.

يتفق ابن حزم في هذا الشرط مع كل المفكرين الذين اعتبروا كون الخليفة من قريش شرطا ضرورياً لورود النص فيه، وانعقاد الإجماع فيه، لأن أبا بكر احتج يوم السقيفة على الأنصار لما قدموا للخلافة سعد بن عبادة بقول النبي صلى الله عليه وسلم "الأئمة من قريش" فأقلعوا عن التفرد بها ورجعوا عن المشاركة فيها، وهناك حديث آخر يحمل نفس المعنى وهو: "قدموا قريشا ولا تقدموها"، وأيضا يؤكد ابن خلدون أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى قريشا بالأنصار.³

¹ - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مصدر سابق، ص 77.

² - المصدر نفسه، ص 89.

³ - محمد أبو زهرة: ابن حزم حياته عصره آراؤه وفقهه، مرجع سابق، ص 243.

إضافة إلى القرشية يشترط ابن حزم الأندلسي أيضاً أن يكون الإمام بالغاً مميزاً، وأن يكون مسلماً، كما يشترط فيه أن يكون متقدماً لأمره، يتحمل تبعات الحكم، علماً بما يلزمه من فرائض الدين متقيّاً، ظاهر حاله الصلاح، غير معلى الفساد في الأرض ولا يشترط أن يكون سليم الجسم صحيحاً معافى، لأن ذلك لن ينقص شيء من أهليته للإمامة والتي هي أهلية أساسها الكفاءة في إقامة العدل والقسط، "فالعبارة بالقدرة على القيام بالعدالة فهي مناط الإمامة وبغيرها لا يتحقق المناط".¹

ورفض ابن حزم الاتجاهات التي تؤكد على توارث الخلافة، استناداً إلى القرابة، أو النص والتعيين أو أية اعتبارات خاصة، كطرق لتولي إمامة. وقبل أن يعرض رأيه في طرقها، يلجأ كعادته إلى مناقشة الآراء المطروحة في ذلك، إذ يرد على القائلين بأن «الإمامة لا تصح إلا بإجماع فضلاء الأمة في أقطار البلاد»، بأن هذا تكليف ما لا يطاق، وما ليس في الوسع، لتفرق المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، والله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، أما من قال، إن عقد الإمامة لا يصح إلا بعقد أهل حضرة الإمام وأهل الموضع الذي فيه قرار الأئمة، «فهو قول فاسد لا حجة لأهله» إذ لا سند له في القرآن والسنة وإجماع الأمة، ويرد على أبو علي الجبائي، القائل، بأن الإمامة لا تصح بأقل من عقد خمس رجال، تعلقاً بفعل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في الشورى. فيقول ابن حزم، بأن عمر (رضي الله عنه) لم يقل أن تقليد الاختيار لأقل من خمسة لا يجوز، فضلاً عن أن فعل عمر (رضي الله عنه) لا يلزم الأمة حتى يوافق القرآن والسنة، وأن أولئك الخمسة (رضي الله عنهم) قد تبرؤوا من الاختيار، وجعلوه إلى واحد منهم يختار لهم وللمسلمين من رآه أهلاً للإمامة، وما أنكر ذلك أحد.²

¹ - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مصدر سابق، ص 167.

² - المصدر نفسه، ص 168.

هذه بجمل الاتجاهات التي أقرها فقهاء (أهل السنة) لعقد الإمامة، بينما كان لابن حزم رأي آخر، يبدو مخالفاً لها، إذ يشير إلى طرق أخرى اعتمد السوابق التاريخية في ترجيحها وهي:

- 1- عقد الإمامة يصح بوجوه، أولها وأفضلها وأصحها، أن يعهد الإمام الميت إلى إنسان يختاره إماماً بعد موته، سواء فعل ذلك في صحته أو في مرضه وعند موته، إذ لا نص ولا إجماع على المنع من أحد هذه الوجوه، كما فعل الرسول بأبي بكر، وكما فعل أبو بكر بعمر (رضي الله عنه) وكما فعل سليمان بن عبد الملك بعمر بن عبد العزيز.¹
 - 2- إن مات الإمام ولم يعهد إلى أحد، أن يبادر رجل مستحق للإمامة، فيدعو لنفسه، ولا منازع له، ففرض اتباعه والانقياد لبيعته والتزام إمامته وطاعته، كما فعل علي (رضي الله عنه) إذ قتل عثمان.
 - 3- أن يصير الإمام عند وفاته، اختيار خليفة المسلمين إلى رجل ثقة أو أكثر من واحد، كما فعل عمر (رضي الله عنه) عند موته، وليس عندنا في هذا الوجه إلا التسليم لما أجمع عليه المسلمون حينئذ.
- هذه الوجوه التي أقرها ابن حزم، كطرق مثلى لتولية الإمام، وهي تتمحور بين الوراثة والغلبة، وفي الوقت الذي لاحظنا فيه أنه دحض رأي القائلين بتوريث الإمامة، استناداً إلى القرابة، إذ «لا خلاف بين أحد من أهل الإسلام في أنه لا يجوز التوارث فيها»²، فإنه يعود لتبرير مبدأ "توارث الإمامة" القائمة على القوة والغلبة، ويعتبر ذلك، أفضل وجوه عقد الإمامة وأفضلها وأصحها.

¹ - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، مصدر سابق، ص 169.

² - المصدر نفسه، ص 170.

المبحث الثاني: واجبات وحقوق الإمام

أولاً: واجبات الامام

يعد ابن حزم الإمام مصدر السلطات والنفوذ، فهو صاحب السلطة المطلقة التي لا تخضع للتوصيات والاستشارات، فلا وجود لسلطة دنيوية فوق سلطته، لأنه الرئيس الأعلى للأمة الإسلامية، واستناداً إلى ذلك، يحدد واجبات الإمام هي:¹

1- **تكوين أجهزة الدولة:** من أول الواجبات التي ينبغي للإمام القيام بها بعد توليه أمور الرعية هي تكوين أجهزة الدولة من وزارة وولاية وغيرهم، لمساعدته على تحقيق مهامه الموكلة إليه شرط أن يكونوا من المسلمين وأهل الدين ويرجع ابن حزم هذه الضرورة إلى أن الإمام لا يمكنه القيام مباشرةً بكل أمور المسلمين²، وقد حدد ابن حزم اثني عشر عملاً يجب على الإمام اختيار أشخاص لأدائها، وهذه الأعمال هي:³

الصلاة: ينبغي على الإمام أن يولي الصلاة رجلاً قارئاً للقرآن، حافظاً له، عالماً بأحكام الصلاة والطهارة وفاضلاً في دينه خطيباً فصيحاً معرباً، فقيهاً في جميع ذلك. قبض الزكاة والجزية وتفريقهما: يجب على الإمام أن يخرج لكل جهة من يكتفي بصدقات أهلها، ويخرج معه من الأعوان والرجال ما يستعين به على عمله وشرط أن يكون عالماً بأحكام الصدقات ومقاديرها ونصابها. ولاية الجيوش وتدبير الحروب: يجب على الإمام أن يعين معاونين له في تجهيز الجيوش وأخذ المغنم وتخميمها وقيمتها. **الأقضية:** يجب أن يتولى الإمام تعيين القضاة بنفسه.

¹ - ابن قتيبة: شذرات من كتاب الإمامة والسياسة، ج1، دار الكتاب العلمية، بيروت - لبنان، 1971، ص98.

² - المرجع نفسه، ص 103، 104.

³ - المرجع نفسه، ص 515، 516.

إقامة الحدود: لا بد من تعيين من يساعد الإمام على إقامة الحدود لتصان محارم

الله عن الانتهاك.

الشرطة: وذلك لتوفير الحماية للرعية وخاصة الحريم.

1- الواجبات الدينية: فيجب على الإمام أن يطبق أحكام الدين التي جاءت في كتاب الله تعالى وسنة نبيه، كما يجبي عليه أن يراقب من يغير حكماً أو سنة في الدين، فيرجعه عن خطئه.

2- الواجبات الاقتصادية: يجب على الإمام حفظ الحقوق المالية للرعية. وأن يشجع رعيته على الغرس والمزارعة.

3- الواجبات الجهادية: فقد حدد ابن حزم مجموعة من الواجبات الجهادية يجب أن يقوم الإمام بها، والجهاد عنده أربعة أنواع:

النوع الأول: جهاد غير المسلمين.

النوع الثاني: قتال أهل الردة.

النوع الثالث: قتال أهل البغي.

النوع الرابع: قتال المحاربين وقطاع الطرق.

فضلاً عن هذه الواجبات، يتقدم للإمام بجملة من النصائح، منها:

1- أن يركب يوماً في الجمعة، فتراه العامة كلها.

2- أن يجعل سائر أيامه للنظر في الأمور، ولا يسرف على نفسه.

3- يمنع أهل الفضول في الوصول إليه.

4- أن يختار جلسائه من أهل العلم والفضل وحسن التدبير.

5- أن يختار موظفيه من ذوي الآراء السديدة.

6- أن يشاور أصحابه في ما يعترضه من أمور.

7- أن يقوم بتولية الإمارات والأعمال (كالصلاة والبريد، وعمال الزكاة والخراج، وأن يتخير ولاته وعماله من المسلمين وأهل الدين) .

والواجبات الدينية مستمدة من الطبيعة المقدسة للخلافة، لأن الخليفة يمارس سلطة تعتمد على الحق المقدس وتستمد من مصدر إلهي. لذلك من واجبات الإمام حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة، دون تحريف أو تأويل، وهذا يوجب محاربة المبتدعين والمتأولين، للحفاظ على أصالة الدين ووحدته، وحدة الحقيقة التاريخية، باعتبارها أساس وحدة الأمة، فالأمة لا تتمزق ولا تصيبها الفتن ولا تقع في الزلل، إلا حينما تتعدد الآراء وتختلف، وهما علامتا الابتعاد عن الحق.

ثانياً: حقوق الإمام

إذا قام الإمام بما عليه من واجبات فإن له حقوق على الأمة حددها ابن حزم فيما يلي :

1- حق الطاعة:¹

يوجب على الأمة طاعة الإمام، ونصرته والدفاع عنه إذا ما قام عليه معترض أو مناوئ فاسق، وفي حالة عصيانه ورفض طاعته والخروج عن ما تفرضه عليهم بيعته، عدوا فئة باغية يحل قتالهم وحرهم.

إلا أن واجب الطاعة والنصرة تقترب بطاعة الإمام لله، وخشيته، والتمسك بسنة رسول الله، ومتى ما زاغ عن شيء منها يسقط عن الأمة إطاعة الخليفة، ويحق لها أن تقيم عليه الحد والحق، ويستند ابن حزم في ذلك إلى حديث للرسول صلى الله عليه وسلم «لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في الطاعة، وعلى أحدكم السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة». (صحيح مسلم).

¹ - نجاح محسن: الاتجاه السياسي عند ابن حزم الأندلسي، مرجع سابق، ص 93.

2- حق النصرة:

من حقوق الإمام على الأمة أيضا نصرته، فإذا بغت عليه طائفة من الخارجين، في هذه الحالة يجب على الأمة أن تقف إلى جانبه في قتال طائفة، ودفعهم إلى الحق. فقتال البغاة واجب في الشريعة الإسلامية.¹

المطلب الثاني: موجبات عزل الإمام

إذا كان أغلب أهل السنة يرون أن الإمام لا يجب عزله مهما جار مادام يقوم بأداء الصلاة ، فإن ابن حزم : قال بعزل الإمام عند ارتكابه للمحرمات حتى وإن كان لم يدع الصلاة ، لأن الإمام الجائر مع ارتكابه للمحرمات وتشجيعه الفسق مقر بالإسلام معلن به لا يدع الصلاة. ومن أمثلة هذه الأمور التي تخرج الإمام من إمامته : عدم الحكم بالكتاب والسنة ، ومخالفته للنصوص القطعية ، لأن مقياس الحكم على الإمام وطاعته ، كتاب الله وسنة رسوله فإن قادنا بكتاب الله وسنة رسوله * وجب طاعته ، وإن زاغ عن شيء منهما منع من ذلك وأقيم عليه الحمد والحق ، فإن لم يؤمن أذاه إلا بالخلع خلع رولى غيره

ومما يخرج الإمام من إمامته أيضاً تمكين اليهود والنصارى من أمور المسلمين ، واتخاذهم جنوداً وأعواناً له ، إلزام المسلمين الجزية ، تشجيع الفسق وإباحة المسلمات للزنا ، حمل السيف على المسلمين بدون ذنب ، والاعتداء على نسائهم وأطفالهم ، والاعتداء على أموال المسلمين. واستند ابن حزم لبيان مشروعية الخروج والمقاومة باليد ، إلى أن القرآن الكريم والسنة النبوية، قد أوجبا على الأمة متضامنة ومتكافلة ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واستخدام القوة لتغيير المنكر ، كتفضيل أول . ويستند ابن حزم ومن قال بالخروج إلى عدة أدلة نقلية هي :

– قوله تعالى : "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر"².

– قول الرسول : صلى الله عليه وسلم : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فقلبه وذلك أضعف الإيمان".

¹ - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، مصدر سابق، ص102.

² نجاح محسن: الاتجاه السياسي عند ابن حزم الأندلسي، مرجع سابق، ص 101.

-قوله عليه السلام : "لا طاعة في معصية ، إنما الطاعة في الطاعة ، وعلى أحدكم السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية : فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة".

-قول الرسول صلى الله عليه وسلم : من قتل دون ماله فهو شهيد ، والمقتول دون دينه شهيد ، والمقتول دون مظلمة شهيد

-قول الرسول صلى الله عليه وسلم : لتأمرون بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليعمنكم الله بعداب من عنده.¹

ومع إيمان ابن حزم بوجوب التغيير باليد مع أمثال هؤلاء الحكام ، فإنه برأي اتباع بعض أساليب المقاومة الهادئة إن كان متعذرا فقال هؤلاء الحكام ، وهذه الأساليب في:

- 1- مخاطبة هؤلاء الحكام وتصحهم إن وقع شيء من الجور والظلم ، حتى وإن كان قليلا.
- 2 - إذا لم يمكن مخاطبتهم ونصحهم ، وجب الإمساك للألسنة جملة واحدة ، إلا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذر جميعهم"

-من عجز عن ذلك فقسمه الدنية" ، مع أن هذا لا يجوز ، لأن الناس إذا أنكرت المنكر بالقلب فقط ، فإنه لا يتغير ويظل كما هو . وقد قال الرسول "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع في قلبه وذلك أضعف الإيمان" ، وقال أيضا "لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليعتكم الله بعقاب من عنده"² .

ولكن ابن حزم يدعو إلى الخروج والمقاومة باليد ، عندما تفشل الوسائل السلمية لإعادة عزلاء الحكام إلى حظيرة الشريعة الإسلامية ، والإقلاع من الجور والظلم ، فإن امتنع الإمام عن الظلم ورجع إلى الحق ، فلا سبيل إلى خلعه ويظل إماما للمسلمين ، أما إذا امتنع عن القيام بواجباته ولم يرجع إلى الحق وجب خلعه وإقامة غيره ممن يقوم بالحق ، وذلك استنادا لقوله تعالى : "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" فلا يجوز التفريط في واجب من الراميات التي كلف الله بها الإمام.

¹ - نجاح محسن: الاتجاه السياسي عند ابن حزم الأندلسي، مرجع سابق، ص 102.

² - المرجع نفسه، ص 103.

وقياساً على القضية السابقة وهي عزل الإمام الجائر ، فإن ابن حزم يرى وجوب قتال كل من يعتدى على حقوق غيره حتى ولو كان السلطان ، يقول : "وهكذا إذا أريد بظلم تمتع من نفسه سواء أَرادَه الإمام أو غيره ، لأن الله تعالى لم يفرق في قتال الفئة الباغية على الأخرى بين سلطان وغيره ، بل أمر تعالى بقتال من بغى على أخيه المسلم عموماً حتى يفي، الى أمر الله تعالى .

وإذا لم يستطع المسلم القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإنه يجب أن لا يعين ظالماً على ظلم بيده ولا بلسانه ، ولا أن يزين له فعله ويصوب شره ، وأن يعاديه ينيته ولسانه عند من يثق فيه ويأمن على نفسه عنده ، فإن اضطر للتعامل مع الظالم فيجب أن يعامله¹ .

إذا كان هناك نصوص تقول بالصبر ونصوص القول بالخروج ، فإن ابن حزم تأييداً لرأيه الذي يقول بالخروج ، فقد أدعى أن الأحاديث التي تقضي بالمقاومة والتغيير ، في الأرفق لفكر الشريعة والأكثر تعبيراً من روحها ، وأن الأحاديث التي تأمر بالصبر والنهي عن الثورة والعنف، تعبر عن الاتجاه الإسلامي الأول للمسالمة والصبر على المكروه والإبقاء ، وقد نسخت هذه الأحاديث بالأحاديث التي تحث على المقاومة ووجوب إزالة التكر ، لأن المسلمين قد مروا مرحلة القلة والضعف إلى مرحلة الكثرة والقوة ، فلا مجال للتمسك بالأحاديث التي تدل على الصبر" .

كما أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باق مفترض لم ينسخ فهو الناسخ الخلافة بلا شك² كما اعتبر ابن حزم الآية "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ، فاصلحوا بينهما ، فإن يغت إحداهما على الأخرى ، فقاتلوا التي تبغي حتى تفي" هي الأساس في النظر وهي الحاكمة في تلك الأحاديث ، فما كان موافقاً لها فهو الناسخ الثابت والمخالف لها هو التسرع) . وترى أن رأي ابن حزم في النسخ لا يتناسب ورأيه في كتاب الإحكام في أصول الأحكام" . الذي يقول فيه : إذا تعارض الحديثان أو الأبدان أو الآية والحديث ، ففرض على كل مسلم استعمال كل ذلك ، لأنه ليس بعض ذلك أولى بالاستعمال من بعض ، ولا حديث بأوجب من حديث آخر مثله ،

¹ - نجاح محسن: الاتجاه السياسي عند ابن حزم الأندلسي، ص 104

² - المرجع نفسه، ص 105.

ولا آية أولى بالطاعة لها من آية أخرى مثلها ، وكل من عند الله عز وجل وكل سواء في باب وجوب الطاعة والاستعمال ولا فرق¹.

إن حل هذا التعارض بين الأحاديث التي تحث على الصبر والأحاديث التي تحث على الخروج ، بأن عجز رئيس الدولة أو فسادها ، منه ما يكون يسيراً بحيث يسهل علاجه بالنقد والنصح والإرشاد ، ومن ثم يجب الصبر عليه ، ومنه ما لا يستقيم معه الأمر إلا بالسيف ومن ثم يجب سله والقيام بالثورة المسلحة. وتوزيع هذا الفهم على الأحاديث التي يدعو بعضها إلى الصبر وعدم مخاشنة الحاكم . رتللك التي تدعو إلى الخروج عليه بسل السيف أو الثورة ، بقصد إعمالها جميعاً ، ربما كان المخرج المقبول فيما يبدو أنه تعارض فيما بينها ، وربما كان الأوفق ما ذهب إليه ابن حزم من القول بالنسخ.

كما أن الآية التي جعلها ابن حزم حاكمة في تلك الأحاديث ، فإننا أجد فيها أن الأمر بقتال الفئة الباغية لا متعلق له بهذه المسألة ، ذلك لأن هذه الآية ، تحدد موقف المسلمين فيما إذا نشب قتال بين طائفتين منهم ، سواء أكانت إحدى هاتين الطائفتين من أفراد المسلمين ، أو سواء أكان هؤلاء الأفراد من أمراء العدل أو أمراء الجور² ، فالقتال هنا ناشب وإراقة الدماء واقعة ، ومن ثم يتعين على المسلمين أن يتدخلوا أولاً بالصلح ، وليس بالقتال المباشر ضد الأمراء ، وإن كانوا إحدى الطائفتين ، ثم إذا لم يتم الصلح يجب قتال الفئة الباغية وهي التي أبت الصلح ، ولا مفر هنا من القتال فقد وقع ما نهى الله عنه من فتنة وإراقة دماء ، والقتال هنا لا يعتبر فتنة لأنه مفروض لمنع البغي ومنع الفتنة.

¹ - نجاح محسن: الاتجاه السياسي عند ابن حزم الأندلسي، ص 105.

² - المرجع نفسه، ص 106

الخاتمة



الخاتمة

من خلال الدراسة التحليلية لموضوع بحثنا موضوع: إشكالية الإمامة في الفكر الإسلامي - ابن حزم الأندلس أنموذجا. حاولنا في الفصول السابقة أن نقوم بتحليل إشكالية الإمامة، واستطعنا أن نستخلص مجموعة من النقاط التي يمكن اعتبارها نتائج عامة لنا بعد هذه الدراسة المتواضعة، ويمكن إجمالها في ما يلي:

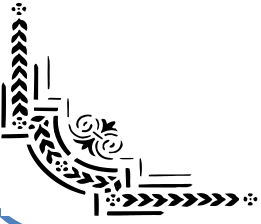
مشكلة الإمامة من أهم المشاكل التي دار حولها الجدل والخلاف وتعاقبت هذه المشكلة عبر محطات تاريخية ومازالت هذه المشكلة محل دراسة في وقتنا الحالي، منذ وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهذا راجع لمنصب الإمام الخطير ولا بد من اقامته وحثمية تنصيب إمام في كل مجتمع إذ لا يمكن أن ينعم الناس بالحياة ويسود الأمن بينهم وتنظيم الأمور إلا بحاكم يكون المرجع في تطبيق الشرع وحماية الأمة وإقامة العدل.

الدارس لمواقف ابن حزم من الخلافة والإمامة، يلاحظ تأثيرا كبيرا من جانبه بالأوضاع السياسية في الأندلس إبان الفتنة، ثم سقوط الخلافة، كما كان لتجاربه السياسية أثر واضح في تفكيره وفي الواجهة التي اتخذها وكانت مصدرا من مصادره التي استفاد منها في تفكيره السياسي فقد عاش تجربة تاريخية حاسمة في فترة من فترات التاريخ الأندلسي وهذا ما يجعله يرى خلاص الأندلس بعودة الخلافة.

وتميز فكره في هذه القضية بميوله الديني والعقائدي وهذا ما كان ملاحظ في إبراز الحجج الدينية والأحاديث الدينية في تقديم فكره السياسي، وبالإضافة إلى ذلك غالبا ما التزم ابن حزم بالمذهب الظاهري.

الإمام فرض لازم لحفظ الدين ولتنفيذ الأحكام، وبهذا الصدد يعبر ابن حزم عن الحاجة الملحة للأندلس قبيل سقوط الخلافة إلى سلطة مركزية أو خليفة قوي، يقيم أحكام الدين وتكليفاته ويقضي على الفوضى السياسية وقتئذ.

قائمة المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- القرآن الكريم

- 1 - ابن حزم الأندلسي: رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ج1، ط1، 1983.
- 2 ابن حزم الأندلسي: رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، ج2، ط2، 1987.
- 3 ابن حزم: التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق: إحسان عباس، دار الحياة، بيروت - لبنان، ط1،
- 4 ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج2، تحقيق، محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط2، 1996.
- 5 ابن حزم: المحلى، تحقيق، أحمد محمد شاكر، مطبعة النهضة، القاهرة - مصر، (د. ت) ج1، ابن حزم: المحلى، تحقيق، أحمد محمد شاكر، مطبعة النهضة، القاهرة - مصر، (د. ت).
- 6 علي بن حزم الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والألاف، مؤسسة هنداوي، القاهرة - مصر، 2014.
- 7 ابن حزم الأندلسي: الإعراب عن الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس، تحقيق، محمد بن زين العابدين رستم، دار أضواء السلف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 2005.
- 8 ابن قتيبة: شذرات من كتاب الإمامة والسياسة، ج1، دار الكتاب العلمية، بيروت - لبنان، 1971.
- 9 أبو الحسن الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2006،
- 10 أبو القاسم البلخي وآخرون: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق، فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، تونس.
- 11 أبو المعالي الجويني: غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق مصطفى حلمي، دار الدعوة، الإسكندرية - مصر، ط1، 1400هـ.
- 12 أحمد المهدي: أبكار الأفكار، ج5، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة - مصر، 2002
- 13 أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الغرب والكرامة، ط1، وهران - الجزائر، 2012.
- 14 الأشعري: مقالات الإسلاميين، تحرير محمد محي الدين، مكتبة النهضة، ط1، القاهرة - مصر، 1954.
- 15 أنور خالد قسيم الزعبي: ظاهرية ابن حزم الأندلسي - نظرية المعرفة ومناهج البحث، وزارة الثقافة، عمان - الأردن، ط1، 1995.
- 16 الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، 1984.

- 17) سالم يافوت: ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، مركز الثقافي العربي - المغرب، ط1، 1986
- 18) الشهرستاني: الملل والنحل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 2005، ص 118.
- 19) عبد الحليم عويس: الفكر السياسي بين الغزالي وابن حزم، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، 2010،
- 20) عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة العلامة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2006.
- 21) عضد الدين الإيجي: المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت - لبنان، (د.ت.)،
- 22) عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي، المكتب التجاري، ط1، بيروت - لبنان، 1962.
- 23) فائزة حمزة عباس: صور من إسهامات المرأة الأندلسية في الحياة الثقافية في عصر الطوائف، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، العراق، المجلد3، العدد3، 2005.
- 24) قادر نزار محمد: دراسات في تاريخ الفكر السياسي الإسلامي، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - السعودية، 2010.
- 25) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، تعليق، احمد بن الحسن بن أبي هاشم، دار التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ.
- 26) القاضي عبد الجبار: المنية والأمل، تحقيق: عصام الدين محمد علي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية - مصر، 1985.
- 27) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، مكتبة الأسرة، القاهرة - مصر، 2013
- 28) محمد المنتصر بالله الحسيني: معجم فقه ابن حزم الظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2009.
- 29) محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، مؤسسة هنداوي، القاهرة - مصر 2017.
- 30) بنجاح محسن: الاتجاه السياسي عند ابن حزم الأندلسي، عين الدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، ط1، 1999.
- 31) وسام عبدو اللحام: الخلافة - بحث في مؤسسة الإمامة لدى السنة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2009، ص32
- 32) ياقوت الحموي الرومي: معجم الأدباء - إرشاد الأريب في معرفة الأديب، ج4، تحقيق، إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، ط1، 1993.
- ثالثا: المعاجم والقواميس**
- 33) ابن منظور: لسان العرب، ج1، دار الابحاث، ط1، الجزائر، 2008.
- 34) الزبيدي محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، ج8، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، (د.ت.).
- 35) الفيروز ابادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، لبنان، 2005، ص1076.

رابعاً: رسائل جامعية

36) آسية وعيل: فلسفة التربية في فكر ابن حزم، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية (تخصص كتاب وسنة)، جامعة الجزائر، 2014/2013.

37) عبد السلام سعد: ابن حزم بين الفلاسفة والتكلميين، دكتوراه علوم (تخصص الفلسفة)، إشراف لعموري عليش، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر، 2008 / 2009، ص 99. (الرسالة منشورة عبر شبكة الويب).

خامساً: المجالات والدوريات

38) فائزة حمزة عباس: صور من إسهامات المرأة الأندلسية في الحياة الثقافية في عصر الطوائف، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، العراق، المجلد 3، العدد 3، 2005.

سادساً: شبكة الويب (ويب غرافيا)

39) ابن حزم الأندلسي.. السيرة الكاملة، <https://www.albawaba.com> (زيارة الموقع: 2022 /07/07 الساعة: 9.00).

40) مجموعة مؤلفين: كتاب موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام الدرر السنينة - المبحث الخامس آراء الخوارج في الإمامة العظمى - المكتبة الشاملة الحديثة، (<https://al-maktaba.org>)

41) محمد عبد المومن: المدرسة الحزمية في الفقه وعلم الكلام، مجلة الاصلاح التونسية، مجلة إلكترونية فكرية ثقافية، تصدر شهرياً، عن منتدى الفسارابي للدراسات والبدائل <https://alislahmag.com> (تاريخ زيارة الموقع: 2022/10/10 الساعة: 16.00)

42) محمد علي عباد حميسان: جدّة ابن حزم وأسبابها، شبكة الألوكة (<https://www.alukah.net>) (زيارة الموقع: 2022/07/08 على الساعة: 11.00).

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
	شكر
	إهداء
	مقدمة
الفصل الأول: ابن حزم حياته وظروف عصره	
7	المبحث الأول: ترجمة الإمام ابن حزم
7	المطلب الأول: مولده ونسبه ووفاته
10	المطلب الثاني: طباعه وأخلاقه
14	المطلب الثالث: حياة ابن حزم العلمية
24	المبحث الثاني: ظروف عصر ابن حزم
24	المطلب الأول: الحالة السياسية
26	المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية
28	المطلب الثالث: الحالة الثقافية والعلمية
الفصل الثاني: إشكالية الإمامة من منظور علم الكلام	
31	المبحث الأول: تعريف الإمامة وشروط انعقادها
31	المطلب الأول: تعريف الإمامة
34	المطلب الثاني: شروط انعقاد الإمامة
38	المبحث الثاني: آراء الفرق الكلامية بشأن الإمامة
38	المطلب الأول: ماهية الإمامة عند الشيعة
40	المطلب الثاني: ماهية الإمامة عند الخوارج
45	المطلب الثاني: ماهية الإمامة عند المعتزلة

الفصل الثالث: ماهية الإمامة عند ابن حزم	
50	المبحث الأول: وجوب الامامة ووحدتها وشروط وطرق انعقادها
50	المطلب الأول: وجوب الإمامة
52	المطلب الثاني: وحدة الإمامة
53	المطلب الثالث: شروط الإمامة وطرق انعقادها
56	المبحث الثاني: واجبات الإمام وحقوقه وموجبات عزله
56	المطلب الأول: واجبات الإمام وحقوقه
58	المطلب الثاني: موجبات عزل الإمام
59	
69	الخاتمة
72	قائمة المصادر والمراجع
75	فهرس الموضوعات